الجـــمهورية الـــــجزائرية الديــــمقراطية الشــــعبية
وزارة التـــعليم الـــعالي و البـــحث العـــلمي
جامعة 08 مــــــاي 1945
قالـــــمة





كلـــية الـعلوم الانـسانية و الاجــتماعية

قسم التـــاريخ و الاثـــار
التخصص: الاثار القديمة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآثار القديمة بعنوان :

معسكـر "VBAZA" أوبــازا الأثــري

< دراسة وصفية تحليلية >

من إعداد الطالبة :

- توايتية عفاف

تحت إشراف الأستاذ :

- زرارقة مراد

لــــجنة المـــناقشـــة :

الأســــــتاذ	الرتــــــبة	الصــــــفة	الجامــــــعة
د . سلاطنية عبد المالك	أستاذ محاضر .أ.	رئيـــــــسا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
أ . زرارقة مراد	أستاذ مساعـد .أ.	مـــشرفا و مقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
أ . معلم محمد فوزي	أستاذ مساعـد .أ.	عضوا مناقـــشا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة

الســـنة الجامعية : 2012/2011

شكر و عرفان

الحمد لله المعطي الوهاب، الذي بشكره تتم علينا النعم والذي أنزل في كتابه الكريم "وإن شكرتم لأزيدنكم"، والصلاة والسلام على الهادي البشير سيدنا محمد أفضل الصلاة والتسليم.

أشكر الله سبحانه وتعالي الذي وفقنا وأعاننا على إتمام هذه الدراسة، كما يطيب لي ان اشكر صاحب فكرة موضوع البحث الذي شجعني ووقف بجانبي، أبي الغالي حفظه الله وأطال عمره.

أتقدم بخالص شكري وتقديري للأستاذ الفاضل* زرارقة مراد * المشرف على الدراسة، الذي كان من أول المحفزين والناصح الرشيد، فألف شكر أيها الأستاذ الجليل.

الشكر الجزيل الى امي و اخوتي الذين منحوني الدعم لمواصلة البحث.

كما لا أنسى جميع طلبة سنة ثانية ماستر تخصص*علم الآثار* دفعة 2011\2012.

قائمة المختصرات

A.A.A	Atlas archéologique de l'Algérie.
B.E	Année Epigraphique.
Ant. Afr	Antiquités Africaines.
B.A.A	Bulletin d'Archéologie Algérienne.
B.A.C	Bulletin Archéologique du Comité.
R.Afr	Revue Africaine.
R.E.H	Revue des Etudes Historiques.
R.S.A.C	Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de Constantine
Rev.Tun	Revue Tunisienne.

قائمة المصطلحات:

Outa	اوطى
Ouverture	فم
Défilé	خانق ، خنقة
Eperon	مهماز ، نتوء ، انف الجبل
falaise	جرف
Numeri	السرية
Comitatenses	كتيبة
Vexillatio	مجموعة عسكرية من الفرسان
Vexillatio	فرقة عسكرية – فيلق
Centuries	فرقة عسكرية متكونة من مئة جندي

المقدمة

مقـــــــدمة

يتناول هذا البحث جزءا من تاريخ الشرق الجزائري اذ ارتأينا أن نأخذ به وجهة عسكرية باعتبار ان جل المصادر و الوثائق المتصلة به تتعلق بالوقائع الحربية اكثر مما تتعلق بجوانب اخرى من تاريخ إقليم تبسة، و بما أن الأحداث العسكرية ارتبطت بأقاليم معينة كانت تشكل احزمة امن لتواجد المحتل في تراب المقاطعة (**البروقنصلية**). فإننا ارتأينا أن نركز على بحث معسكر أوبازا من خلال منظومة الخطوط الدفاعية (**الليمس**) و ذلك لقناعتنا ان هذا الموقع يساعدنا في الكشف عن الجوانب الخفية من تاريخ هذه المنطقة.

و من ثم فالوثائق التاريخية المكتشفة بأطلال هذه المنطقة لا تتوفر على ما يفيد في التعرف على حياة السكان الأصليين و أوضاعهم المختلفة، اذ أن ما لدينا من معطيات لا علاقة لها بعناصر أولئك السكان.

إن الإحساس بالغموض السائد بتاريخ هذه المنطقة هو احد الدوافع المحفزة لإقدامي على دراسة هذا الموضوع. و لكي تتسع زاوية النظر التي أرى من خلالها أحداث تاريخ الإقليم، كان لابد من الاشارة الى ما تزخر به المنطقة (**الشريعة**) من أثار لمنشآت توجد هنا و هناك، و ذلك لوضع المهتمين امام صورة متكاملة لما يمكن ان توجه الجهود نحوه مستقبلا. فقد نال منا هذا الموضوع جهدا، استهدينا في نهاية الامر الى تحليل من التساؤلات التي شكلت محور اهتمامنا و مجال بحثنا، فاختيار هذا النمط من المنشآت، وأسلوب البناء، و مجموع مكونات بناء المركز الدفاعي، ارتبطت كلها بالحياة الثقافية للأهالي، و قدرتهم على تصور النموذج الذي يتماشى و احتياجاتهم الاجتماعية و الاقتصادية و الامنية التي يطمحون الى تحقيقها.

و بالرغم من تلاشي أجزاء من المعلم إلا انه ما زال صامدا و قائما أمام الإهمال، و بقي الى يومنا هذا ينتظر من يبعث فيه الروح ، و يكشف سره الى العالم و يعيد ماضيه الى حاضرنا.

فقد اعتمدنا في هذه الدراسة الأثرية لـــ"معسكر أوبازا VBAZA" نهج الدراسة الميدانية التي تستند الى المنهج الوصفي التحليلي، الذي ساعدنا على اقتناص عناصر و مكونات من واقع المعسكر نفسه التي جعلت منه معلما قائما بذاته يبعث في نفس المستكشفين و الفضوليين روعة المكان و جماله، وأيضا كان لابد لنا من انتهاج المنهج التاريخي الوثائقي الذي مكننا من الإطلاع عن كل ما كتب عن المنطقة لإثراء الجانب المعرفي بالمكان وتوسيع المجال لتفسير المعطيات الميدانية، والتمكين من استنتاج الخلاصات العلمية التي تفتح شهية الباحث نحو المزيد من الاكتشاف.

عندما باشرنا في البحث صادفتنا صعوبات كبيرة في العثور على المصادر و المراجع التي تتناول "**معسكر أوبازا**" من الناحية الأثرية بالشكل الذي يفيد خطة البحث ويثري مضمونه. وقد خصصنا وقتا واسعا، للاطلاع فيه على كتب و دراسات الباحثين الذين كتبوا عن أوضاع الدول، و تاريخها، بحثا عن إشارات وحقائق تفيد البحث وتؤرخ للمنطقة المراد دراستها تاريخيا واجتماعيا و معماريا، منهم "Gsell (S)" في الأطلس الأثري للجزائر، والباحث " Cagnat (R)" الذي تحدث عن الاحتلال الروماني في شمال أفريقيا، والدكتور "**محمد البشير شنيتي**" في كتابه * الجزائر في ظل الاحتلال الروماني * بجزأيه الأول و الثاني، بالإضافة إلى كل من "Diehl(ch)" و الأستاذ الباحث "**سليم دريسي**" في مذكرته * البيزنطيون في شمال أفريقيا، الاحتلال و العمارة الدفاعية* الذي تحدث فيه و بشيء من التفصيل عن اهم الاحداث التي شهدتها شمال افريقيا اثناء التواجد البيزنطي و اهم منجزاتهم التي ظلت قائمة الى يومنا هذا و شاهدة على ذلك العصر.

كل هذه الدراسات التي أشرنا إليها تناولت الموضوع بشكل لا يعطي معطيات دقيقة لها صلة بالدراسات الأثرية التي تهتم بالمراكز الدفاعية من جميع النواحي، وبذلك فالمادة الموجودة حول ما نشر عن المنطقة لا تفي بالغرض المطلوب، ولا تعطينا إضاءات دقيقة تمكننا من الاستفادة بها في مجال الدراسات الأثرية.

وقد قسمنا موضوع بحثنا إلى مقدمة و ثلاثة فصول، تناولنا في الفصل الأول لمحة جغرافية حددنا من خلالها الموقع الجغرافي والفلكي لبلدية" الشريعة "، مشيرين إلى موقع المعسكر والتضاريس المحيطة به، وأيضا المناخ الطبيعي للمنطقة مع الموارد المائية، وكذلك كان لابد لنا من التعرض إلى الجانب التاريخي للإقليم خلال العهود القديمة .

أما الفصل الثاني تناولنا فيه الاوضاع العامة التي ساهمت في انجاز العمارة الدفاعية من خلال التعريف بالمنظومة الدفاعية "**الليمس**"، وأيضا تحدثنا عن المنشآت العسكرية كالقلاع والأبراج و المدن المحصنة و المراكز العسكرية. مع ذكر اوضاع المنطقة قبيل و اثناء التواجد البيزنطي حتى يتسنى لنا معرفة اهم الأماكن التي مسها الاحتلال.

وفي الفصل الثالث خصصناه لدراسة وصفية للمعسكر من خلال ذكر أهم عناصره، وكان لابد من التعرض إلى مكونات البناء والمواد المستعملة في ذلك بغية الإلمام بكل الجوانب، وفي الأخير انهينا موضوع بحثنا بخاتمة تضم مجموعة من النتائج والحقائق المستخلصة من هذا العمل، متبوعة بقسم خاص بالأشكال والمخططات والخرائط، ثم الصور، وقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها وفهرس للمواضيع التي احتواها البحث.

الفصل الاول

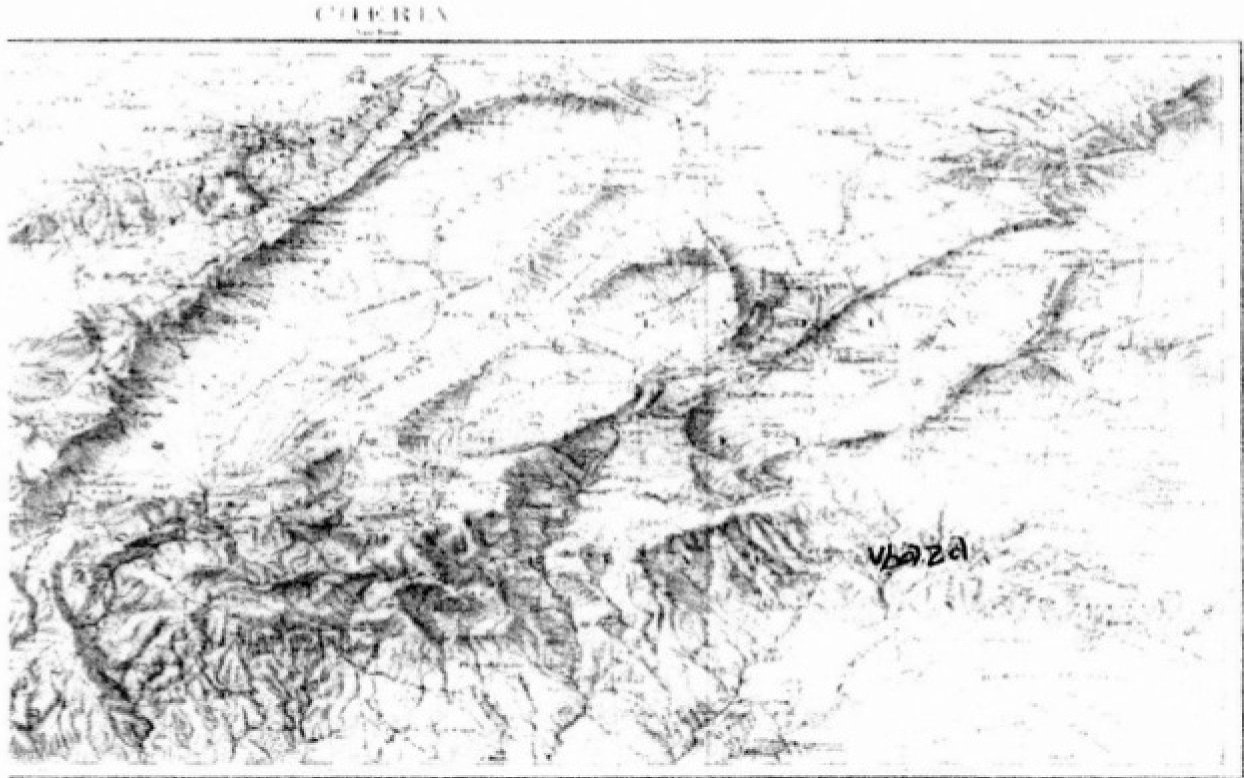
الموقع الجغرافي و المؤهلات البيئية

لحيز أوبازا Ubaza

أولا: الدراسة الجغرافية:

1- الموقع الجغرافي والفلكي لبلدية الشريعة :

تقع بلدية الشريعة في الشرق الجزائري و تحديدا بولاية تبسة، تبعد عن مقر الولاية بـ:38 كلم تقريبا نحو الجنوب الغربي، يحدها من الشرق كل من تبسة و الماء الأبيض، و من الغرب بلدية المزرعة و ولاية خنشلة، و من الشمال بئر مقدم و الحمامات و من الجنوب بلدية ثليجان و نقرين كحدود مع الصحراء، مساحتها تقدر بـ 850 كلم²، أما موقعها الفلكي حسب الإحداثيات فهو N 35°16.230 E 7°45.087.(خريطة1)



عن: Gsell(s) ,A.A.A ,feuille de Chéria n= 39,art.164 ,p.6. Tome 2 , Alger , 1997.

2-موقع المعسكر :

يقع معسكر VBAZA على بعد 35 كلم جنوب – جنوب – غرب مقر بلدية الشريعة و بـ 19 كلم جنوب – غرب ثليجان.

- أصل التسمية: حسب Bosredon فإن تسمية terrebaza عربية أما الاسم القديم فهو turris Ubaza، حيث نلاحظ أن في الكلمتين وصل أو رباط، و مفهوم turris من دون شك قد اعتمد في الفترة الأخيرة من التواجد الروماني كمرادف لكلمة castellum[1]. وبالتالي فإن مصطلح Terrebaza المتداول إلى غاية يومنا هذا في أوساط السكان بالمنطقة ما هو فعلا سوى التسمية المستعملة قديما والمطابقة لـ Turris Vbaza. التي نجدها في المنطقة المحاذية لواد مشرع تحت تسمية "الترابزة ، فحسب اعتقادي، ليست هنا قبيلة أو عائلة تقطن بهذا الشبر تدعى بهذه التسمية فالأمر قد يكون بدون شك عبارة عن ظرف مكان بقي متداولا منذ الفترات القديمة على غرار العديد من أسماء المواقع التي حافظت على تسمياتها منذ أمد بعيد.
- طبوغرافية الموقع : تقع Ubaza في هضبة النمامشة، على بعد حوالي 63 كم جنوب غرب مقر ولاية تبسة(خريطة 2)، حسب Cagnat (R) فهو يعود إلى الفترة البيزنطية[2]، الموقع على شكل مهماز مقطوع eperon barré اتجاهه شمال غربي – جنوب شرقي، يعلو ربوة مائلة نوعا ما نحو الجهة الجنوبية الشرقية له شكل مثلث تقريبا ممدود يشبه إلى حد بعيد مخطط سفينة.(صورة 1)

---

[1] _ BOSREDON ,Promenade archéologique dans les environs de Tébessa(1) ,Paris,1878,p.19.
[2] - Cagnat (R) ,L'armée Romaine d'Afrique ,part 1 &2 , 1913. P 593.

أما موقعه الفلكي فمحدود بين الإحداثيات التالي 34°57.310 N 7°41.054 E و 34°57.277 N 7°41.108 E .

بالمنطقة مهمازان يقعان فوق نفس السلسلة، إحداهما شمالي والأخر جنوبي، يبتعدان عن بعضيهما بمسافة حوالي 192 م، لكن المهماز الشمالي يعلو بكثير عن المهماز الجنوبي المختار لإقامة المركز الدفاعي بحوالي 11 م إذ يبلغ ارتفاع المهماز الشمالي بـ 987 م، والجنوبي بـ 976 م،(شكل1) ويعود حسب اعتقادي الذي اعتمدت فيه على معطيات أرى بأنها منطقية من الناحية الإستراتيجية والعملية في ظروف العهود القديمة والمتمثلة في الدور الوظيفي للمعسكر الذي يستوجب ضمن مختلف مهامه، رؤية ومراقبة حركة المرور والمواصلات عبر كل المنطقة التي يشرف عليها، ويمكن حصر هذا الاعتقاد فيما يلي:

أ. كلا المهمازان يمتلكان نفس التحصين الطبيعي ، ويعدان بمثابة مواقع إستراتيجية من الناحية الدفاعية.

ب. رغم ارتفاع المهماز الثاني عن الأول بـ 11م فبقي استغلاله منعدم لكون المهماز الأول يحجب عنه الرؤية بزاوية تفوق °10 من الناحية الجنوبية والتي يمر بها الطريق الروماني الذي من المنطقي أنه استغل في الفترة البيزنطية.

ج. مرتفعات الجبل الذي يعد من نفس السلسلة والواقع في الجهة الغربية، يحجب الرؤية بالنسبة للمهماز الثاني لمراقبة الممر الطبيعي المؤدي إلى أد مايورس، على عكس المهماز الأول الذي يسيطر على هذا المنظر وبالتالي على جزء معتبر من الطريق الروماني. (الصورة 2)



3- التضاريس :

تعد الشريعة احد بلديات الهضاب العليا أرضيتها شبه معتدلة ذات ارتفاع يقدر بـ 1050 م على مستوى سطح البحر، تتوزع في المنطقة سلسلة من الجبال خاصة من الجهة الجنوبية الغربية أين تمتد جبال أو هضبة النمامشة التي تتصل بسلسلة جبال الاوراس عبر جبل المحمل و التي بدورها تعتبر حاجزا طبيعيا لحماية المنطقة من الجهة التي تؤدي إلى الصحراء كما تعرف بها عدة جبال نذكر منها:

في الجهة الجنوبية الشرقية نجد جبال بو جلال و بوكماش. وباتجاه العنق نجد جبل الردم أو الردامة بالعامية وكلها أسامي محلية[1].

عبر اوطى ثليجان في الجنوب و باتجاه الغرب نجد جبل جرار (1235م) و جبل الجرف .

كما تنتشر بالإقليم جبال بركانية في الجهة الغربية بالتحديد في اوطى زورا تتمثل في حميمات السودة و حميمات قبير أو البيضاء تعود إلى فترات قديمة .

ومن دراسة هذه السلسلة من الجبال لاحظنا وجود ثلاث فوهات أو ثغرات(طرق) ممرات طبيعية تخترق هذه التضاريس و تتغلغل وسط هذه السلسلة، اتجاهها شمال جنوب فتعد بمثابة همزة وصل بين المناطق الداخلية لهذه المنطقة ومشارف الصحراء، فقد استغلت إحدى هاته الممرات الطبيعية في إنجاز الطريق الروماني الذي يمر بمحاذاة معسكر ubaza المذكور في خريطة بوتنجر ،فهذا الموقع يربط بين تبسة (تيفاست) و نقرين (Negrines Maiores) [2] من خلال الطريق الموصل بين هاتين المنطقتين . (الصورة 3).

---

[1] - Gsell(s) ,A.A.A ,feuille de Chéria n= 39 ,art .164 ,p.6.2 eme édition , Tome 2 , Alger , 1997.

[2] - la porte(J_p) ,Antiquité Africaine : L'Afrique du Nord de la protohistoire à la conquête arabe,Tap-CNRS EDITION 2011 , p .76 .

4- البنية الجيولوجية :

تمتد التكوينات الجيولوجية لهذه المنظومة الجبلية سلسلة من الطيات الالتوائية البارزة و المتتالية من الشمال إلى الجنوب :

أ- الطبقة الأدنى و توجد في وضع متناثر في الشمال بالقرب من ثليجان و واد اهلال إلى عين قيير و عين بابوش .

ب- طبقة الطباشيري الأوسط (crétacé moyen) و تلي الطبقة الأولى من حيث التكوين و توجد في معظم السلاسل الجبلية و إلى الجنوب الشرقي باتجاه بير أم علي .

ج- طبقة الطباشيري الأعلى أو ما يعرف بالحقبة السينونية (crétacé supérieur ou sénonien) و هي أكثر اتساعا و أحزمتها أكثر وضوحا و تقطع السهول الشمالية الكبرى (قساس، مشنتل، ثليجان، بحيرة الأرنب) و إلى هذه التكوينات تنتمي أهم تضاريس المنطقة، و من هذه الطبقة تخرج أهم الينابيع المائية للمنطقة[1].

د- الأراضي التي تعود إلى الترياسي Trias و تغطي الطبقات الطباشيرية السابقة و تتكون من طبقتين لا تعودان إلى فترة واحدة :

- طبقات الايوسين وتتواجد في المنطقة الجنوبية كلها ويزيد عرضها عن 30 كم ، ما بين واد قنتيس في الغرب و واد قزانتة (ghezenetta) وبئر العاتر شرقا – أي من مخرج خانق واد اهلال أو المزيرعة مرورا بالترابزة (terebeza) إلى واد مشرع (mecheraa) ، و من فم المطلق شمالا إلى بير العطش و بير اليهودية في الشمال الشرقي .[2]

---

[1]- د.العربي عقون ،حوز تبسة ،2010 ،ص 48.
[2]- المرجع السابق ،ص 50 .

- طبقة البليوسين Pliocène و تلي التكوينات الجيولوجية السابقة جنوبا، و تشكل شريطا طويلا منتظما يحد الصحراء من الشمال و يزيد عرضه عن 25 كم من فركان إلى تونس وهي بلاد الأغنام، طبقاتها السفلى ذات ألوان متعددة من الطين و الغضار الرملي الذي يحتوي على جبس احمر رمادي و اخضر و تغطيها طبقة من المشبكات (Conglomérat) الصلبة المكونة من عناصر مختلفة الإحجام موزعة هنا و هناك و هي تكوينات ترسبية تشكلها الأودية و البحيرات، تأتي بعدها دكات من الكلس و الرمل تشكل غطاءا صلبا تسهم مع عناصر أخرى كالغضار Marne و الجبس و الأملاح في تكوين هذه المنظومة التضاريسية الفريدة .

هـ- باتجاه الجنوب وبموازاة الطبقات المذكورة تأتي المنطقة التي تشكل مخزونا كبيرا للطمي الذي يعود إلى الزمن الرابع القديم (Quaternaire ancien) يتكون من سلسلة من الطبقات غير المنتظمة ذات المكونات الناشئة عن عملية الحت كالحصى متعدد الأشكال و الأنواع و الرمل و الطبقات الجيرية الرملية و الطمي و الجبس، كما توجد تكوينات الزمن الجيولوجي الرابع القديم في سهل شريعة و سهوب شمال و شرق جبل بو جلال[1].

[1]- المرجع السابق ، ص 51 .

5- المناخ :

في الإقليم يمكن القول عنه انه ليس فيه لا ربيع و لا خريف ، بحيث يتم الانتقال المباشر تقريبا من حر الصيف إلى برد الشتاء ، وقد يبقى الثلج أحيانا أسابيع كاملة و خاصة على قمم المرتفعات وتنخفض درجات الحرارة مدة طويلة إلى $4°$ أو $5°$ تحت الصفر وبالمقابل ترتفع درجة الحرارة في الصيف بشكل جد محسوس، أما لياليه فهي ذات درجات حرارية لطيفة لا يتجاوز متوسطها $15°$.

متوسّط الضّغط الجوي 689 م/م و يسجل أدنى انخفاض في نهاية مارس و في بداية ديسمبر من كل سنة، وتسقط أمطار معتبرة معدلها السنوي يقدر بـ 305 مم. أما الرياح فتهب بشكل لافت خلال حوالي 300 يوم في السنة وتكون هوجاء في بعض الأحيان، و هي إما شمالية أو شمالية شرقية تصحبها أمطار غزيرة أحيانا، و إما جنوبية ساخنة تقضي على الحياة النّباتية [1].

[1] د. العربي عقون، نفسه ، ص 26 .

6- الشّبكة الهيدروغرافية :

تتوزع في المنطقة أودية تصب في الشطوط، مع أنها تجف في أغلب فصول السنة و قد يمتد جفافها على سنوات، و الحقيقة أن هذه الأودية ما هي إلا مجاري دورها الوحيد هو نقل مياه الأمطار إلى الشطوط (البحيرات المالحة) و هذه الأودية تمتاز بخصائص :

- عبورها سهل بحكم أنّ بعضها يتوفر على شيءٍ من المياه و لكن اغلبها جاف خارج الفترات المطيرة، و لكون المياه يختزنها باطن الأرض، و يكفي أن تحفر بضع أمتار حتى تصل إلى المياه الجوفية (Nappes souterraines)، و تتحول هذه الأودية خلال هطول الأمطار إلى أنها حقيقية تتسبب في انجرافات خطيرة.
- تمثّل أسرتها بمثابة معابر حقيقية يسلكها السكان، فهذه الأودية التي يرتفع منسوبها فجأة عند سقوط الأمطار تحفر مياهها على ضفتيها معابر فسيحة ما إن تتوقف حتى تأخذ مياه الواد في التناقص حتى تتحول إلى خيط رفيع يترك ضفافه في شكل طريق ممهد أنجز وشكل بواسطة ما يعرف بالسطوح النهرية.

كما يوجد خارج هذه الأودية عدد من عيون الماء و الآبار و الغدران و العقلات * يستفيد منها الأهالي في التزود بالماء لهم ولحيواناتهم[1]، و أهم الأودية في الإقليم حسب أهميتها :

*الغدير هو حوض طبيعي في سرير الوادي يحتفظ بمياه الأمطار فترة أطول قد تصل إلى سنة كاملة ، أما العقلة فهي عدد من الينابيع الهزيلة المالحة بجوار بعضها البعض.

[1]- د العربي عقون، نفس المرجع ، ص 55 .

واد الشريعة (واد اهلال):

في بدايته يسمى واد عسّة، و ينبع في هضبة تازبنت جنوب غربي تبسة على بعد حوالي 20 كم منها، ويأخذ اتجاها جنوبيا غربيا على مسافة 18 كم، و في هذا القسم يتميز بمنعرجاته و مع ذلك فإنه يفيد الأرض التي يمر بها، وعند وصوله إلى بلدة الشريعة الواقعة على بعد 16 كم من منبعه يأخذ اسمها (واد الشريعة) و ترتوي من مياهه، ثم ينعطف باتجاه الجنوب حيث يتغذى بمياه عدد من الينابيع أهمها عين القاضي جنوب غربي الشريعة، وفي هذا القسم يتحول إلى مستنقع كبير يصل حوالي 500 هكتار لان الأرض مستوية ومياه الواد تفيض يمينا ويسارا.

يواصل واد الشريعة مجراه باتجاه الجنوب و بعد أن يعبر 15 كم تقريبا يصل إلى المكان المسمى عين بابوش و هو نقطة التقائه بمياه النبع والواد اللذين يحملان ذات الاسم، و هذا الأخير يتكون من عدة جداول و هو يغتني بمياه الأمطار المنحدرة من جبال مقرونة و علوشة و يروي عددا من المزروعات على ضفتيه لينتهي في السهل الصغير المسمى اوطى أم خالد أين يروي عددا من البساتين ليصل إلى سهل صغير اسمه المزيرعة أين يلتقي بالواد المالح، و هذه الأودية المتعاكسة الاتجاه شمال غرب – جنوب شرق، كثيرا ما يكون التقاؤها شتاء و هي محمّلة بمياه الأمطار الغزيرة ريا طبيعيا يغني سهول اوطى قيير و زورا [1].

يعبر واد الشريعة بعد ذلك مخانق ضيقة ذات حوافي جيرية في حوض أم خالد و هناك يشق ممرا في هضبة النمامشة يبدأ منه في الانحدار باتّجاه الجنوب و هو الاتجاه الذي يسلكه حتى يصل إلى الصّحراء و من هناك إلى مصبّه و في هذا القسم يأخذ اسم *واد اهلال*، حيث أن مجراه على امتداد حوالي 40كم من حوض أم خالد إلى بداية الصحراء عبارة عن مخانق و جروف عمودية عميقة يصل علوها ما بين

[1]- د. العربي عقون ، نفسه ،ص 56 .

500 إلى 200 م تظهر المياه و تختفي أسفلها خلال الجفاف و لكنها تغزر في فصل الأمطار و يسمع لها صوت مختنق، و بعد عودة الطبيعة إلى هدوئها تتناقص مياه الواد، و تخضر الأرض و تتلون بكل لون بهيج .

بعد أن يقطع واد الشريعة الذي أصبح يسمى واد اهلال حوالي 20 كلم ما بين جبال بوعريق، قارة زينة من جهة و جبال تازربوط وجرار من جهة أخرى يمر أسفل قرية توتة المتكونة من خمسة أو ستة أكواخ (Gourbis) و تتوسد جرف الجبل، يصل إلى جرف صخري فيشق مجراه و يفتح ثغرة عميقة في ذلك الجرف المكون من الحجر الجيري الأحمر[1].

بعد اجتياز واد اهلال لهذا الجرف الوعر يتسع مجراه و تحيط به بساتين كبيرة وتقام على ضفافه بعض الزراعات مثل الحبوب و الفواكه (التين و البرقوق و التفاح و الخوخ و الرمان و العنب و الهندي) و هي المورد الزراعي لأهل الجرف، و ترتوي هذه الزراعات من عيون تتفجر مياهها من منحدر الجرف من طبقة المارن الداكن، كما يقول بلياك، الواقع أسفل طبقة الايوسين الأدنى (éocène inferieur)، ويواصل الواد جريانه نحو الجنوب و يروي عددا من حقول الشعير و القمح، في ذلك الجزء من سريره المنخفض بعض الشيء و الذي تحيط بها شجار الطرفة الكثيفة التي ترسم خطا اخضر على حوافه دون انقطاع، أين نجد بين الحين والآخر مواقع أثرية رومانية ، ويضيق مجراه أحيانا فتتدفق مياهه يمينا ويسارا لتنشر الحياة من حوله وبعد مسيرة حوالي 40 كلم في أسفل الجبل الأبيض في المكان الذي يمثل حافة الانحدار من هضبة النمامشة يكون واد اهلال قد فتح ثغرة في أسفل الجبل يسميها الأهالي *فم اهلال* ،وبذلك يصل إلى تخوم الصحراء فيندفع في شق مجراه في عتبة ذلك السهل الشاسع بأمواجه المندفعة و يخترق سهل امديلة (Mdila) الذي كان غاية في الخصوبة حسب رواية الأهالي لأنه يتغذى من سدود

---

[1]- د. العربي عقون ، المرجع السابق ، ص 58.

كانت موجودة على الواد و كان أهله أثرياء لا يعترفون بسلطة أي حاكم، ولكن تلك السدود اندثرت و مياه الواد جفت و لم يبق من النهر إلا مجراه الكبير الجاف بعرض حوالي 300 م.[1]

واد مشرع:

ينبع من سفح على بعد حوالي 30 كلم جنوب غربي تبسة، ويسمى في قسمه الأعلى واد ثليجان، على مقربة من خط تقسيم المياه ما بين سهل ثليجان وسهل بحيرة الأرنب و يكون اتجاهه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، ثم يدخل سهل ثليجان و يعبره ليشق خانق رقيبة بعرض حوالي 23م بين جبلي كريمة ودبيبير و حافة علوها 2,50م ثم يقل ارتفاعها بعد ذلك ولا يزيد عن 50 سنتم، ولا تسيل فيه المياه إلا عند هطول الأمطار، و يمر بالقرب من عدد هام من أثار مباني تعود إلى الفترة الرومانية ، ويتخذ مجراه خطا متعرجا وسط الحقول حتى يختفي سريره ولا اثر له سوى بعض شجيرات الرطم إلى أن يصل على بعد 8 كلم جنوب غربي خانق رقيبة حيث يبدأ انخفاض طفيف باتجاه عين ثليجان وهناك يعود مساره إلى الظهور ويتزود من مياه نبع عين ثليجان الغزيرة ، ويتخذ مجراه على يمين هنشير زورا ليصطدم بالمرتفعات التي تحد سهل اوطى زورا جنوبا ليخترقها مشكلا خانقا ما بين جبلي اوسيف و أغور الكيفان ليمر بالقرب من هنشير حميمات حيث يوجد أثار مباني مستطيلة الشكل منتشرة في المنطقة يطلق عليها أهالي المنطقة الصوامع قد تعود إلى الفترة البيزنطية، ثم يستمر في نفس اتجاهه ليمر بجوار بير بن طيطايا التي جفت اليوم، وبعد اجتيازه لهذا الأخير يتلقى مياه اودية عديدة أهمها واد عاصي، وعند وصوله عين رأس العش يغتني من مياه عدد من الينابيع التي يصل تدفقها من 150 غالى 200 لتر في الدقيقة ، ومن هنا يأخذ الواد اسم *واد* مشرع .

---

[1]- نفس المرجع ، ص 59-60 .

يمر بعد ذلك بمجراه الملتوي على عدد من الآثار التي تعود إلى الفترة الرومانية جنوبي راس العش، ويبدو من بعيد خطا اخضر بأشجار الطرفة ثم يشق مجراه مكونا سلسلة من الخوانق في المنطقة الجبلية ما بين السهل في الشمال و الصحراء، و في الجنوب يتسع سريره و يضيق حسب التضاريس في تلك الجبال الكلسية و عند وصوله مرتفعات بوخضرا وعلى علو 100م في حافته الغربية توجد كهوف اتخذها إنسان ما قبل التاريخ مساكن، و على بعد حوالي 12 كلم إلى الجنوب من راس العش يلتقي برافده واد زرقا و على امتداد هذا القسم من الوادي تستفيد الأراضي المجاورة من مياهه في سقي حقولها المزروعة قمحا و شعيرا .

واد زرقا:

ينحدر واد زرقا من فج أوصيف في اتجاه مواز لواد مشرع، و يمر في قسمه الأعلى بجنبات جبل الرطم تحت اسم واد أحجار مسخوطة، و في قسمه الموالي يغتني بمياه نبع عين زرقا الوفيرة (تدفقها من 600الى 700 لتر في الدقيقة)، ثم ينعطف شرقي مرتفعات مسلان ليصب في واد مشرع بعد مسافة 10 كلم، فيزيد من حجمه ويستمر هذا الأخير ليشق سريره ما بين جروف وعرة ويمر إلى قنيشة على بعد حوالي 8 كلم جنوبا، ومن عناك يندفع إلى سهل سوكياس من فتحة كبيرة في جبل ربيحة تسمى فم المشرع .

في هذا القسم يغير واد مشرع اتجاهه واسمه ليصبح واد الحامة فيميل نحو الغرب، ويلتف حول التل الذي بنيت فوقه قرية فركان، و يستمر في السير في تربة تميل إلى الاحمرار تتكون من حجر جيري هش، ليترك على يمينه حقول سهل الفوارة و يصب في واد اهلال ليكون الاثنان مجرى واحدا يحمل اسم واد شارج[1].

---

[1]- د.العربي عقون ، نفس المرجع ،ص 61-62.

7- الغطاء النّباتي:

لعبت المعطيات البيئوية السالفة الذكر، و أخص بالذكر منسوب كميات الأمطار المتهاطلة على المنطقة و الثلوج التي تموّن و تفجّر العيون والينابيع المنتشرة هنا و هناك، ذات التدفق الكبير و نوعية التربة الغضارية التي تسمح بوفرة المراعي، بالإضافة إلى عدة سهول ضيقة تسمح باستغلالها زراعيا، سمحت بالاستيطان البشري على ربوع هاته المنطقة العامرة بالحياة في تاريخها منذ أمد بعيد إذ تدل على ذلك بقايا أثار العديد من المغارات (أمور ما قبل التاريخ) و المعالم الجنائزية والأطلال التي تعود إلى فترة فجر التاريخ و الحقبة النوميدية ثم الرومانية المتربعة في سهل الشريعة و التلال و الهضاب المتقطعة الممتدة إلى غاية مشارف الصحراء الواسعة، فقد تحدث عن ذلك ماسكوراي قائلا "...إن الإنسان ليعجز لوحده أن يحدث ذلك الخراب، إنها الرياح الجنوبية الغربية " الشهيلي " التي حولت بساتين و حقول بلاد النمامشة إلى سهوب مقفرة ... لأن تسعة قرون كانت كافية ليزيلها "الشهيلي" من الوجود نهائيا ..".

و باعتبار الشريعة جزء من المنطقة الشمالية لحوز تبسة حسب الباحث الدكتور العربي عقون فقد عرفنا على النباتات المنتشرة بالمنطقة وهي :

الحلفاء (stipa tenacissima) هي أهم نبات طبيعي في المنطقة الشمالية وتنمو في مناطق شاسعة من الحوز و تبدو كبحر اخضر في تلك الأرض الحجرية التي لا تصلح للزراعة، من فصيلة النجيليات (Graminées) المعمرة، و هي دائمة الاخضرار بأوراق طويلة ناعمة وراقة ذات رؤوس شوكية و تنمو تحتها نباتات ثانوية صغيرة ترعاها الأغنام ،مثل نبتة آذان الجدي (plantago albicans) و نبتة أخرى قصيرة(schismus marginatus).

في المنخفضات تنمو نبتة عطرية تسمى الشيح (Artimisia herba alba) ينتفع منها الأهالي في استعمالها علفا للحيوان و "وقيد"، وتحمل مادة لبدية (feutre) بيضاء يعتقدون أنها نافعة في علاج

الجروح ، كما تنمو نباتات أخرى مثل الديس (Ampelodesmos tenax) و هو علف ممتاز لين و دائم الاخضرار يستعمل أيضا في تغطية سقوف أكواخ القوربي، وأعشاب مثل الحميض البري و الحارة و هي خردل بري ذو زهور بيضاء (Erucastrum leucanthum) ثم نبتة أخرى ذات قصب يصل طوله إلى 30 سنتم (aristida plumosa) تنمو في نفس البيئة.

نجد في أماكن عديدة شجيرات السدرة أو العناب البري و هي شجيرات دغلية شوكية لا يمكن التوغل فيها تكسوها في الربيع أزهار صغيرة صفراء اللون، و هناك نباتات أخرى مثل الإكليل (Rosmarinus officinalis) و الرطم والطرفة (Tamarix) في أسرة الأودية، ثم بعض أشجار البطم (pistachier térébinthes) و الخروب و البلوط (quercus ilex) و العرعر، والطاقة (taqqa) و التويا (tuya) ذات الثمار حمراء اللون وكذا شجر الصنوبر الحلبي و المصطكى (lentisque) وهو شجر معرّش وكثيف يستظل به ويأكل الأهالي ثمره مع أن طعمه بين المرارة و الحموضة و يمضغون ورقه الطري قبل أن يتشوك و في ظنهم انه ينعش الفم، والكداد ذو الأشواك الحادّة هو طعام الجمل المفضل، و الحنظل (coloquinte) و هو ذو ثمار بحجم حبة البطاطس و الباقل (baguel,anabasis articulata) و الحرمل (peganum harmala) وهي عشبة مورقة يستعملها الأهالي للتطبيب، و أنواع من القصب (arundo donax) والدفلى (nerium oleander) و أعشاب البرك (Typhacées) مثل الماسطة (Massette,typholia) واخيرا قصب أريحا(anastatica Jerichumtina)الذي يوجد بكثرة في الأماكن الرطبة[1].(صورة 4)

---

[1]- د.العربي عقون ، حوز تبسة ...،ص 31-32.

8- الثروة الحيوانية :

الحيوانات الأليفة في هذه المنطقة هي ذاتها حيوانات السهول العليا في الجزائر عامة وهي الجمال و الأفراس و الأحمرة و الأغنام و الماعز و الكلاب و الدجاج و الحمام .

الحيوانات البرية عديدة فمن الثدييات الأرنب و ابن آوى و القنفذ و الأوس و اليربوع و الشيهم و الفأر ، و منذ فترة ليست طويلة كان الأسد لا يزال موجودا في الإقليم .

يوجد في بيئة هذا الإقليم عدد من الطيور الكاسرة مثل النسور و العقبان و كذا البوم و الغربان و اللقالق و أنواع من طير الشنقب مثل الشحرور و الحذَف و البط البرّي و الورشان و الترغلّة و الحجل الأحمر مع طيور أخرى كالقوبع و الخطاف و الدوري.

يعيش أيضا أنواع عديدة من الزواحف مثل الأحناش و الأفاعي و العظايات و من البرمائيات توجد الضفادع الخضراء و الرمادية وكذا العلاجم (Crapauds) و من اسماك البرك توجد اسماك البوري، و من العنكبوتيات توجد أنواع عديدة كالعقارب الصفراء الأقل خطورة نسبيا، و من الحشرات الطفيلية عديمات الأجنحة توجد ثلاث أنواع هي القمل و البرغوث و البقّ[1].

---

[1]- د. العربي عقون ، المرجع السابق، ص 28- 29 .

ثانيا: الدراسة تاريخية

هذه المؤهلات الطبيعية التي سبق ذكرها، و التي اتضح من خلالها بأنها بيئة حيوية تستقطب العنصر البشري لممارسة مختلف نشاطاته الزراعية والرعوية، وهذا ما وقفنا عليه من خلال الشواهد المادية التي تزخر بها الرقعة الجغرافية المحيطة بالموقع المراد دراسته، والتي نستهلها بـ:

1- الاستيطان البشري في المنطقة منذ ما قبل التاريخ :

من الأكيد أن إنسان ما قبل التاريخ استوطن بهذه الربوع، بحكم مؤهلاتها الطبيعية و وفرة حجر الصوان silex في كتل الطبقات الجيرية، و التي تغطي مختلف ربوات جبال النمامشة. و كل ما ذكر بخصوص هذه الفترة ينحصر في الجهة الغربية من بوخضرا و على علو 100 م توجد كهوف اتخذها إنسان ما قبل التاريخ مساكن[1].

2- الاستيطان البشري في فترة فجر التاريخ:

لم يتطرق أي باحث إلى مخلفات فترة فجر التاريخ بالمنطقة، رغم تواجد وانتشار عدد معتبر من المعالم الجنائزية التي صادفتها خلال معايناتي الميدانية، فهي من نوع المعالم الجنائزية شبه الميغاليثية من نوع التلال الجنائزية Tumulus التي كثيرا ما نجدها متمركزة في المناطق المرتفعة، تعلوا مختلف الربوات المطلة على مهماز أوبازا. وهي ذات أشكال دائرية يتراوح محيطها بين 4 م و 13 م. مبنية بحجارة متوسطة وصغيرة الحجم منزوعة ومجلوبة من عين المكان. لا أستبعد وجود نمط أخر من المدافن

[1]- المرجع نفسه ، ص 62 .

بالمنطقة والمتمثل في المدافن ذات المقصورات Monuments à chapelles وهذا لوجودها وانتشارها بالمنطقة الجنوبية لأوبازا بالقرب من بسرياني والتي ذكرها ج. كامبس Camps G.[1] (أنظر الشكل2)

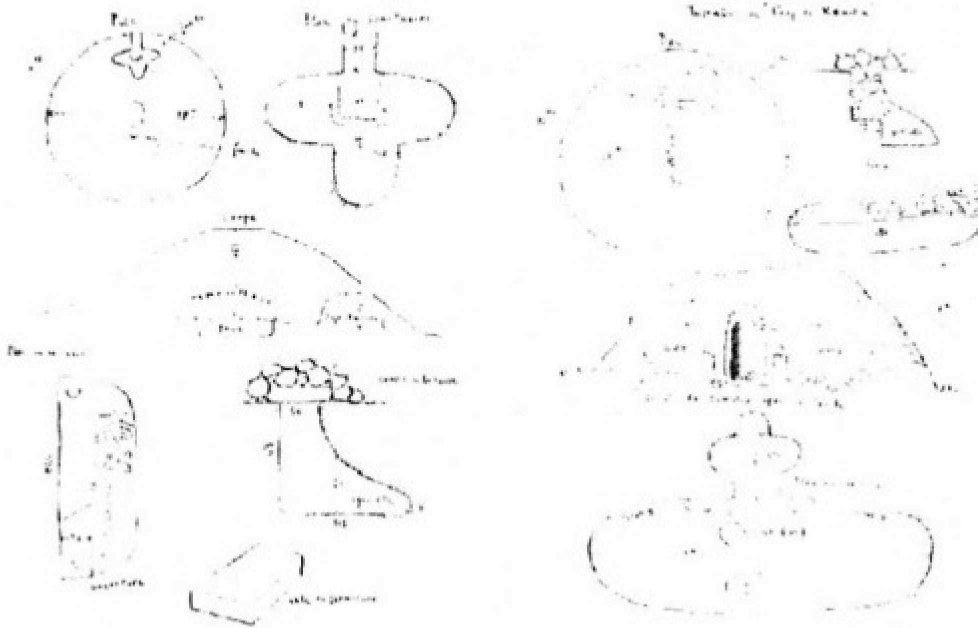


Fig. 3 : *Tumuli* de Negrine (à gauche) et de Fedj el-Koucha (au centre), avec l'inscription (d'après [illegible] F., *Tumuli*, 1937, pl. IV et p. 184 ; pl. V et p. 188)

عن: Laporte(j–p) et Dupuis X., De Negrenses Maiores à Negrine. Antiquités Africaines. P. 56

[1]- Camps G., Aux origines de la Berberie. Monuments et rites funéraires protohistoriques de l'Afrique du nord, Paris 1961, PP. 180-181.

3- **الاستيطان البشري في الفترة القديمة:**

تكشف السيول السابقة عن أثار تذكر بحضارة قديمة ، وتلك الأنقاض هي الدليل على شعب عاش في هذه الأرض التي وفرت له العيش و حتى الرفاهية ، يقول ماسكوراي وبلياك في هذا السياق : ... كانت هذه الأنقاض قلاعا (Castella) و مراكز مراقبة لحركة جيتول* الصحراء لدرء احتياجاتهم المتكررة ، وهم قوم أشبه بالتوارق الحاليين ولعلهم إسلافهم ، و قد أقيمت هذه القلاع – التي لم يبقى الآن سوى أساساتهم وبعض الجدران – في أماكن مطلة على ما حولها من مسالك و خوانق كثيرا ما كان الجيتول يتخذونها ممرا لهم لاكتساح ونهب مزارع وأملاك ناحية تبسة والشريعة ، وكان الرومان قد حولوا بعض الأماكن العالية – المطلة على ما حولها والمتكونة من دكات شبيهة بكورنيش طبيعي – إلى قلاع ، وهذا ما لاحظناه الآن من بقايا تهيئة تلك الأماكن[1].

هناك بعض المواقع الأثرية القريبة جدا من موقع أوبازا والتي صادفتها في طريقي إلى هذا الأخير والتي تعد بمثابة مواقع ريفية لمزارعين.

فالوجود الروماني بسائر المنطقة يمكن حصره بعد سنة 74 و 75م تاريخ تحويل محطة الفيلق الثالث الأغسطيني III Légion d'Auguste من حيدرة بتونس إلى تبسة ، و قد توسع هذا الاحتلال إلى غاية جنوب أوبازا في فترة حكم الإمبراطور تراجان Trajan بين سنتي 104 – 105 أين أبعد الحدود بـ 150 كلم نحو الجنوب لإعادة تنظيم الحيز الإقليمي لقبائل الموزولام..... وكانت نقرين Negrensis Maiores أول محطة تحتل[2]. وحسب رأيي، مادام موقع أوبازا يتوسط كل من تيفيست Theveste

* الجيتول :كانت هذه التسمية تطلق على مجموعة بشرية تعود اصولها الى مربي الابقار الذين عاشوا في العصر الحجري الحديث و سيطروا على اقاليم الري ، وظهروا خلال فترة الخيول ،حيث برزوا كفرسان و سواق عربات قبل عصر الجمال .لقد عاشت هذه الاقوام في المنطقة الممتدة من المحيط الاطلسي الى فزان ضمن اطار جغرافي متشابه، تتمثل في السهوب و المرتفعات الجنوبية (الاطلس الصحراوي الشمالية، اي مناطق الرعي الممتدة ما بين اقليم التل الزراعي و الصحراء، فهم محاربون اشداء حيث ضمت جيوش القرطاجيين و الرومان مقاتلين من رجالهم).

[1]- د.العربي عقون ، حوز تبسة ...، ص 58 .

[2] - Laporte J.P. et Dupuis X., De Negrenses Maiores à Negrine. Antiquités Africaines. Tome 49. 2009. P. 56.

المؤسسة سنة 74-75م و أد مايوراس Ad Maiores المحتلة في 104-105م والتي كانت توصلهما طريق روماني يعبر بمحاذات أوبازا، ما هو إلا استنتاج منطقي في أن الاستيطان الروماني حول أوبازا قد تم خلال بداية القرن الثاني الميلادي.

في حين لم ترد معطيات تاريخية حول التواجد الوندالي بمنطقة أوبازا. لكن بعد استيلاء الوندال بقيادة جنسريق Gennseric في شهر أكتوبر 439 م على مدينة قرطاجة Carthage ، اضمحلت السلطة الرومانية في جميع الجهات الشرقية لشمال إفريقيا، فالأوراس وربما أيضا النمامشة كانتا في يد جنسريق ابتداءا من سنة 442 م أين اعتمد على كبار القادة الليبيين، فبقيت الأوضاع مستقرة إلى غاية وفاة جنسريق سنة 477 م. وما أن تقلد هينوريك Hunéric مقاليد الحكم ، فارت قبائل الأوراس خلال منتصف سنة 484 م بعد الإضطهاد العنيف الذي مورس على الكاثوليك ، فانتقلت الأوراس وبدون شك أيضا النمامشة من سلطة الوندال...فصار ايوداس laudas ابتداءا من سنة 530 م السيد الحقيقي لكل سلسلة جبال الأوراس[1].

و بعد قدوم المستعمر الجديد ، أشتعلت لهيب الثورات المورية في عدة مقاطعات واقتصرت أعنف المعارك على مقاطعتي بيزاكينا ونوميديا. أين شهدت حملات متوالية من طرف المستعمر الجديد خاصة بعد استسلام غليمار 534م، في معركة تريكاماروم قرب خليج تونس، لتلحق الهزيمة بعد ذلك في كل من الطرابلسية بسقوط قبائل لواتة و هزيمة الملك الموري انطلاس سنة 544 م ، لتبرز شخصية جديدة تمثلت في القائد يوحنا تروقليتا الذي عين دوقا على قرطاجة بداية من سنة 545م، و كانت مهمته إعادة السلام الى شمال أفريقيا، فعرفت حينها أربع عشرة سنة من الهدوء النسبي.[2]

[1] -Laporte J.P. et Dupuis X., Op. Cit. P.61.
[2] -Ibid, pp. 61-62.

الفصل الثاني

الأوضاع العامة المساهمة في انجاز المراكز الدفاعية

أولا: مفهوم النظام الدفاعي (الليمس)

قبل التطرق في ذكر الأوضاع السياسية والعسكرية و الاجتماعية وحتى الدينية السائدة قبل الاحتلال البيزنطي للمنطقة التي كانت سببا رئيسيا في ابتكار وانجاز نظام دفاعي يحمي مصالح القوى المستعمرة في ممارسة هيمنتها بقبضة من حديد قصد السيطرة على مختلف مناطق الشمال الإفريقي لاستنزاف خيراته، أود أن أوضح مفهوم المركز الدفاعي وأشير إلى موضعه الجيوستراتيجي.

فنظرا للقرب الكبير من حيث الموقع الجغرافي للمركز الدفاعي بـ VBAZA من خط الليمس، ارتأيت أن أشير إلى هذا النظام المحكم والذي يدرج ضمن السياسة العسكرية التحصينية الرومانية، يكمن في حصر مناطق شمال إفريقيا في فضاء مطوق بمنشات عسكرية سواء كانت معسكرات أو أبراج للمراقبة، أو قلاع اعتمادا على ما توفره الطبيعة من حواجز تتشكل على سلسلة جبلية أو مجاري مائية، و على الطرق أو خطوط الليمس الذين يرسمون الحدود بين ما هو صالح لحياتهم الاجتماعية، و نقصد هنا الأراضي الزراعية، وهي من ممتلكات الإمبراطورية، وبين ما هو طالح ويكون خارج الحدود و يترك بطبيعة الحال للأهالي[1]. غايتها (الخطوط الدفاعية) وقف الخطر الصادر من جنوب المغرب القديم و المجسد في القبائل الرحل [2]، و منذ الفترة المتأخرة للتواجد الروماني تراجعت خطوط الليمس و استمر ذلك خلال الفترة الوندالية ثم البيزنطية [3]. و كل هذه الأحداث سنتطرق إليها في دراستنا للجانب التاريخي للمنطقة .

---

[1]- شنيتي (م،ب)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث عن منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) و مقامة المور ،الجزء2، ص67.

[2]- دريسي سليم ، البيزنطيون في شمال افريقيا الاحتلال و العمارة الدفاعية ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة ، جامعة الجزائر ، معهد الآثار ، 2007-2008، ص 345 .

[3]- دريسي سليم ، المرجع السابق ،ص 356.

1- المدينة المحصنة Civitates :

هي مدن تغطي مساحة كبيرة، خصصت في آن واحد للمدنيين و العساكر، بها بعض المنشآت التي كانت في العهود السابقة و حول محتواها الى مهام أخرى و البعض الآخر تركت وراء السور الدفاعي . يمتاز هذا الأخير بالمتانة و العلو، يتخلل أسواره و مداخله أبراج قوية، تحمي كل السكان المقيمين بها و هم من الحرفيين و المزارعين، و يلجأ إليها القروريون القاطنون بالمنطقة في حالة تعرضهم للغزو من طرف المور .إلى جانب ذلك يوجد بالمدينة المحصنة مستقر للجند الذين يتكفلون بحماية ممتلكات الأشخاص و السهر على ضمان السير العادي للحياة في كل الإقليم الخاضع لمراقبتهم.

2- المراكز العسكرية Castra :

هي منشآت دفاعية تحرس المدن المفتوحة، يتراوح معدل مساحتها ما بين 1,5 هكتارا إلى 3 هكتارا .قد يكون البعض منها منعزلة و مشيدة في المواقع الإستراتيجية من حيث المنظور العسكري .و تكون البعض الآخر مبنية في وسط المراكز الحضرية أو بجوارها حتى تعتني بحراستها و الدفاع عنها ضد الغزاة. يطغى المخطط المستطيل الشكل في هذا النمط من العمارة، به أبراج في الزوايا، و في حالات أخرى تحيط بالسور سلسلة من الأبراج .كما نجد المراكز العسكرية ذات التخطيط غير المنتظم، بحيث تتوافق أسوارها مع طبوغرافية الموقع.

3- القلاع :

يمكن للقلاع احتواء سرية أو سريتين من الجند .تتقارب مقاساتها بمقاسات المعسكر للفترة الرومانية و تتراوح مساحتها بنصف هكتار إلى هكتار و نصف و تعددت القلاع من حيث الأشكال و المضمون و تبقى القلعة المحصنة لتيمقاد من أحسن النماذج لهذا النمط، بحيث تسنى من خلالها للباحث معرفة بدقة التوزيع الفضائي للقلعة. جهزت هذه القلاع لتكون مراكز خاصة بالجند و قد يحتمي فيها أهالي المنطقة عند الحاجة.

4- الأبراج المحصنة و الملاجئ BURGI:

تعددت مثل هذه المنشآت في عدة مناطق من شمال إفريقيا خاصة تلك الموجودة قرب الحدود الفاصلة بين المقاطعات البيزنطية .فتبنى عادة في الأماكن المرتفعة و بالقرب من المراكز الحضرية .لم تحظ هذه الأبراج المحصنة بالعناية المعمارية ذلك أن المواد المستعملة رديئة كونها متأخرة عن فترة جوستينيانوس من جهة، و من جهة أخرى بنيت بمبادرة خاصة من السكان لتشكل برج مراقبة و عنصر دفاعي يدافع عنه هؤلاء السكان، و رغم أنها ليست بالعمارة الرسمية إلا أنه حظيت بالعناية من طرف السلطة البيزنطية يغلب الشكل المربع في هذه المنشآت، و تتراوح مقاساتها ما بين 10 م وإلى 20 م في كل جانب .و هي تتقدم المدن المحصنة و المراكز العسكرية لتكون بذلك مراكز الحراسة و المراقبة المتقدمة.

5- مفهوم المركز الدفاعي castellum:

كلمة castellum لاتينية جمعها castella تصغيره castrum أطلق في الفترة الرومانية على نوعين من البناء (العمارة):

- العمارة الدفاعية: وهو قلعة صغيرة أو حصين، استخدم في النظام الدفاعي limes .
- le castellum divisorium : و يعد بمثابة موقع تخزن به المياه الوافدة من قنوات المياه أين تجمع و توزع للاستغلال.

الكلمة اللاتينية castellum هي أصل للكلمات الرومانية castel و Chastel التي تعني خزان و تقابلها بالانجليزية Castle .

ثانيا: أوضاع المنطقة قبيل التواجد البيزنطي

لقد شكلت تبسة قطبا تتوافد إليها كل الطرق، فهي تمثل إحدى الركائز الأساسية في عملية السياسة العسكرية البيزنطية كونها همزة وصل بين عدة مقاطعات. وتفسح المجال بأن يكون منفذا على الصحراء من خلال الثغرة المحايدة لهضبة النمامشة، ولذلك كان من الضروري إيقاف كل احتياج صادر سواء من القبائل الرحل أو الوارد من جنوب نوميديا و بيزاكينا، دون أن نستثني الخطر الذي مازالت تمثله الإمارات القاطنة بجبال الاوراس[1].

ولأجل ذلك يجد الدارس للسياسة العسكرية و التحصينية الرومانية أن كل مناطق شمال إفريقيا حصرت في فضاء مطوق بالمنشآت العسكرية سواء كانت معسكرات، أو أبراج للمراقبة، أو قلاع على الطرق أو خطوط الليمس الذين يرسمون الحدود بين ما هو صالح لحياتهم الاجتماعية، ونقصد هنا الأراضي الصالحة للزراعة وهي من ممتلكات الإمبراطورية، وبين ما هو طالح ويكون خارج الحدود و يترك بطبيعة الحال للأهالي[2].

فمن خلال تموقع هذه الهيئات العسكرية والدفاعية يتضح لنا الجو السائد أثناء التواجد الروماني. فغليان الأوساط الشعبية والثورات القبائل المحلية التي كانت تنافس بالحيلة والعنف، خاصة وأنها تقيم في عقر دياره وبالقرب من المراكز الحضرية، الشيء الذي أرهق جهود الرومان في تأمين البلاد فكان التعايش بين الفئتين في هدوء نسبي، تلتها فترات من الحروب ثم تليها فترات من الهدنة والسلم، كان الأهالي يتربصون لعدوهم الماكث في المدن المحصنة في غالب الأحيان بسور دفاعي .

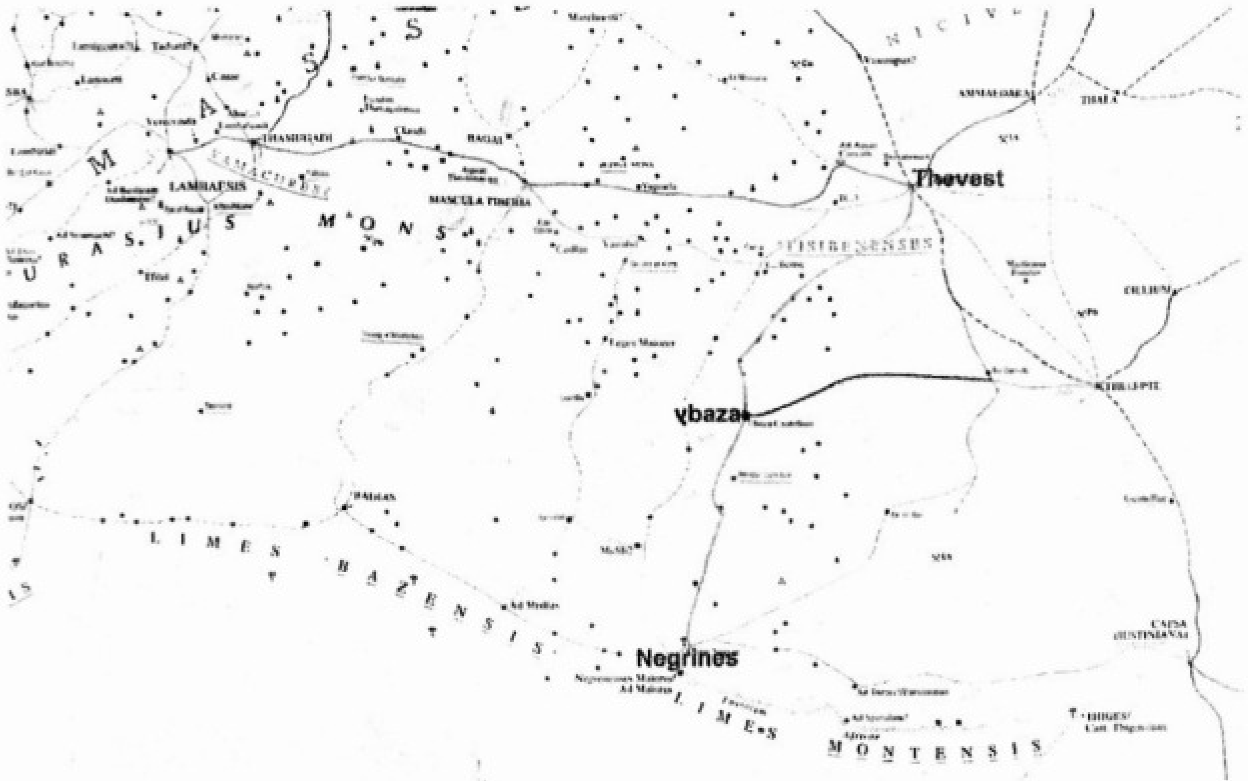
[1] - Diehl (ch) Rapport sur deux mission Archeologique .pp. 41.43

[2]- شنيتي.(م.ب)، الجزائر في ظل... الجزء الأول والثاني. الجزائر 1999 عن :

Baradez (J.), Fossatum Africae. Recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine. Paris, 1949

Cagnat (R.), l'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1913.

و كان يقدم إلى تبسة من جهتها الغربية الطريق القادم من لامبيز و المار على تيمقاد و خنشلة، و كذلك الطريق الذي يأخذ مساره من الجهة الجنوبية الغربية القادم من الصحراء و المار على نقرين، بالإضافة للطريق القادم من الجهة الجنوبية الشرقية و المنطلق من قفصة و المدينة القديمة[1]، و من الجهة الشّرقية يصل إليها الطّريق المنطلق من سبيطلة، و من الجهة الشّمالية الشّرقية يربطها الطّريق الرئيسي القادم من قرطاجة، و من تبسة يتفرع باتجاه الشمال إلى كل من سوق أهراس و سيرتا .(خريطة3)



خريطة 02: تفرع الطرق من تيفاست

ونظرا لهذه الأهمّية الإستراتيجية، شدّد على حراسة كل المعابر والمضايق بمبان عسكرية كالقليعات و الأبراج المحصنة فهي تتقدم المدينة المحصنة لتبسة و تتوزع عبر كل المنافذ المؤدية لمقاطعة البروقنصلية لتقطع الطريق على الغزاة [2].

[1]- سليم دريسي ، البيزنطيون في شمال افريقيا ...، ص 219.
[2]- سليم دريسي ، نفس المرجع ، ص 220.

واحتوت كل الأراضي الداخلية على منشات دفاعية، وأقيم بكل المسالك المؤدية إلى تبسة على عدد من المباني تراقب أي تسرب إلى المقاطعة (البروقنصلية)، ففي الجنوب الغربي لقد كانت المنطقة عامرة بالحياة في تاريخها القديم، والشاهد على ذلك بقايا اثار العديد من القرى التي تعود إلى الفترة النوميدية ثم الرومانية في سهل الشريعة و التلال المتقطعة الممتدة إلى الصحراء، ومن بين الآثار التي قمنا بمعاينتها أثناء استطلاعنا بمنطقة اوطى زورا و تحديدا بالقرب من هنشير حميمات البيضاء التابع لبلدية ثليجان يوجد مبنى اثري مستطيل الشكل (صورة5) يشبه إلى حد بعيد مخطط الضريح يعود احتمالا إلى الفترة الرومانية حسب الباحث *بيار كاستال Pierre CASTEL* بالمبنى نقش من النوع البارز في أعلاه يشبه نفس النقش الموجود بلامبيز و هو عبارة عن يد تمسك بقوس، كما تنتشر حوله ضريحين بنفس الشكل لكن لم يبقى منها إلا القليل من الجدران والأساسات تسمى عند أهالي المنطقة *بالصوامع*، كما توجد بالقرب من الطّريق بقايا نصب (أنصاب) منتشرة (صورة6)، كما بها عدد من الأماكن الأثريّة تشير إلى أنها تعود إلى فترة اضطهاد المسيحية حيث احتمى المسيحيون الأوائل بهذه البلاد النائية لممارسة إيمانهم[1].

و على الطريق الروماني في الأمام و تحديدا بهنشير الكركم لاحظنا وجود أنقاض مدينة قد تكون خزان مياه من خلال الأحواض المنتشرة بالمنطقة (صورة7) و الآبار التي تم هدمها و تخريبها من طرف المارّين على هاته المنطقة الهامة و الساحرة بموقعها الاستراتيجي .

---

[1]- د.العربي عقون ،نفس المرجع ، ص 45.

* المور: حسب المؤرخين الاغريق هم السكان الذين يسكنون اقصى الشمال الافريقي غربا ما بين وادي ملوشا(ملويا) و المحيط الاطلنطي، وقد اخذه عنهم الرومان واستعملوه للدلالة عن مملكة بوكوس و ابناءه (التي استلمها يوبا الثاني وابنه بطليموس فيما بعد).
ارجع بعض المؤرخين اصل كلمة المور الى اصل فينيقي مشتق من كلمة "ماهوريم"(*mahurim*) التي تعني في رايهم اهل الغرب ، ويقول سترابون ان اسم "ماوري (*mauri*) كان مستعمل من طرف الاهالي و الرومان، مما جعل البعض يقاربه بكلمة (*tamurt*) التي تعني الارض أو البلد ، بينما يقول سالوست بان المور هم خليط بين الشعب الميدي و الليبي .

1- الهجوم والزحف الوندالي:

كان المغرب القديم في بداية القرن الخامس يعيش فترات من السلم والرخاء الاقتصادي، وبقي المصدر الأول والرئيسي لتزويد روما بالقمح.

كانت في نفس الفترة أوروبا تحت السلطة الرومانية تعاني من هجمات أعدائها النازحين من أوروبا الشمالية والغربية. فأصبحت شمال إفريقيا ملجأ للفارين من روما أثناء قيام الحرب بينها وبين آلاريك عام 410[1]. الأمر الذي جعل العديد من المؤرخين يصفون شمال إفريقيا بأوصاف جذّابة للغاية وكان من المؤرخين المعاصرين فيكتور ذي فيتا الذي قال بأنها تزخر بجمال الموطن وازدهارها. بينما يذكرها سالفيان وهو قس لمدينة مرسيليا والذي زار قرطاجة عشية الزحف الوندالي، بأنها جنة فوق الأرض. لكن إن كانت الأوضاع على هذه الصورة في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية وبصفة عامة في الجهة الشرقية من المغرب القديم، فالوضع كان مختلفا تماما في باقي أرجائه.

ونظرا لهذا الوضع المزري بالمنطقة، تمكنت الديانة المسيحية من السيطرة وفرض قوتها ونفوذها على المنطقة منذ القرن الرابع الميلادي، الأمر الذي أدى بأغلب السكان في المدن الساحلية إلى التنصر. كما تعرضت المدن الداخلية إلى نفس التيار الديني مع بعض التراجع كلما اتجهنا نحو الجنوب الغربي. وظلّت الحركة الدوناتية المنافس العنيد للديانة الرسمية ولو بخفية نظرا للمرسوم الإمبراطوري الصادر عام 412 الذي نص عل شلّ تلك الحركة بل وتحريمها من مزاولتها[2].

1- سليم دريسي ،البيزنطيون في شمال افريقيا ...، عن:

Heurgon (J.), Le trésor de ténès, Paris, 1958.

2- Laporte (J.P.), « les vandales, l'Afrique et les Maures », B. A. C, Suppl, 3, 2005, p 272.

كما نلاحظ في الإطار الاجتماعي بعض المشادات بين سكان المدن المرومنين والقبائل المورية، مثل التي شهدتها مقاطعة البروقنصلية حيث وقعت اضطرابات أفضت إلى قتل أحد من رجال الدّين شماس أنجيلي ومرافقه في مدينة مداوروش من طرف الموريين على حد تعبير مونصو[1].

وإن هذه الأحداث التي تعاقبت على المنطقة منذ القرن الرابع والربع الأول من القرن الخامس والتقلبات السياسية والعسكرية في نظام السلطة الرومانية هي التي مكنت الوندال من استغلالها وزحفهم إلى شمال إفريقيا، وهم يبحثون على أرض تأويهم بعد هجرة دامت عدة سنوات. كما تراجعت السلطة الرومانية عن عدة أقطار من المغرب القديم خاصة الجهة الغربية منه، تاركة المجال للقبائل المورية التي سيطرت على الوضع واجتازت خطوط الليمس للقرنين الثالث والرابع. وقد كان لضعف الإمبراطورية الرومانية في قوتها العسكرية، وكذلك محاصرة حدودها سواء كانت في أوروبا أو في إفريقيا من الأسباب المباشرة التي ساعدت على تقهقر نفوذها وتقلص ممتلكاتها وانهيارها تدريجيا في القسم الغربي منها.[2]

يعتبر الشعب الوندالي من الأقوام الجرمانية البربرية. كان مسقط رأسهم شبه الجزيرة الأسكندينافية، عبروا بحر البلطيق واستقروا وسط أوروبا ولم ينزلوا بسواحل إفريقيا إلاّ بعد قرون من الهجرة. مرّوا من بحر البلطيق إلى سهول الأودر والفستول الأعلى في حوالي القرن الأول قبل الميلاد، ثم انتشروا عبر نهر الراين والدانوب خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين، ليستقروا أخيرا جنوبا ما بين نهري الألب والراين[3].

بمشاركة قبائل الألان والسواف استطاع الوندال اختراق خط الليمس الدفاعي المنتصب على ضفة نهر الراين بالقرب من مدينة مايونس، وفي 31 ديسمبر 406 دخلوا بلاد الغال ومكثوا فيها قرابة ثلاث

[1]- Monceaux (P.), « Deux victimes des Maures à Madaure », C.R.A.I, 1920, pp. 329 – 344.

[2]- سليم دريسي ،البيزنطيون في شمال افريقيا ... ص

[3]- جوليان.(ش.ا)، المرجع السابق، ص. 322.

سنوات، ثم شدوا الرحال في خريف 409 إلى إسبانيا واستقروا بها لمدة عشرين عاما[1]. نزح الوندال نحو الجنوب و أفتكوا من أيدي الرومان عام 425 قرطاجنة وأشبيلية[2].

تعرض المؤرخون والباحثون إلى عوامل عدة التي ساقت بالوندال إلى شمال إفريقيا نلخصها فيما يلي:

أ) استنجاد الكونت بونيفاص بالوندال كان نتيجة مضايقته والمؤامرة عليه من طرف حاشية غالا بلاسيديا، التي اخذ منها مقاليد الحكم ابنها بعد وفاة الأمبراطور هونوريوس في 15 أوت 423م ، وبهذا الصدد أفادنا بروكوب أنه أرسل أعز أصدقائه إلى إسبانيا للتفاوض مع الوندال، ونصت الاتفاقية على تجزئة شمال إفريقيا، ولكل واحد منهم إمارته[3]. ويبقى تصرف بونيفاص لدى العديد من المؤرخين هو العلة المباشرة التي أدت إلى اجتياح شمال إفريقيا من طرف الوندال.

ب) عدم تقدير الخطر الوندالي وإعطائه القسط اللاّزم من الدراسة السياسية العسكرية من طرف أباطرة روما، فكانوا منهمكين في الصراعات الداخلية والمتعلقة بالاختلافات الشخصية أثّرت سلبيا على الوضع الأمني.

ت) الوضع العسكري الروماني المزري وتراجع خطوطه الدفاعية ممّا سهل عملية التوغل للونداليين، أضف إلى ذلك مقاومة المور ببسط نفوذهم على عدة مناطق ممّا يفسر من هذا المنظور التراجع ربما الاستراتيجي الروماني نحو الشرق.

ث) انهيار الركيزة العسكرية التي كانت بمثابة العمود الأساسي و المثبت للوجود الروماني عبر أرجاء الإمبراطورية. انحلّت البعض من هاته الفرق العسكرية والبعض الآخر وجهت إلى إيطاليا والباقية

---

[1]- سايم دريسي، البيزنطيون في شمال افريقيا ...عن :
Bourgeois (Cl.), « Les vandales, le vandalisme et l'Afrique ». Ant. Afr, t. 16, 1980. p. 216.

[2]- شنيتي. (م. ب)، الجزائر في ظل... ص 374.

[3]- Procope de Césarée, la guerre contre les vandales, guerres de Justinien. Livre III et IV, traduction et commentaire de D. Rouques, Paris, 1990, I – III – 25.

أسندت لها مهام الحدود الشمالية للإمبراطورية الرومانية، ولهذه الأوضاع لم يتلق المغرب القديم المساندة العسكرية التي ألحّ عليها عام 430 حتى تواجه الخطر الوندالي.

ج) كان الملك الوندالي جنسريق على دراية أن بقاؤه في شبه جزيرة إيبريا يشكل خطرا على قومه المهدد من طرف القوط الذين يحتلون طل منافذ جبال البيريني. هذه الوضعية تضع الوندال في عزلة لذلك استوجب الأمر إقامة حاجز منيع المتمثل في البحر[1] يؤمّنهم من خوف عدوّهم وبلاد أخرى تطعمهم من جوع.

ح) أدرك جنسريق أنه لن يجد بشمال إفريقيا مقاومة كبيرة وذلك نتيجة ضعف الرومان وسخط الأهالي عليهم، فاغتنم هذه الفرصة التي تخدم بلا شك مصالحه[2].

خ) الثروات الزراعية بشمال إفريقيا تعوض بكثير تلك التي تركها جنسريق بشبه جزيرة إيبريا، وفي نفس الوقت تمثل سلاحا غذائيا في يده يهدد به روما، كما أن مكانة المغرب الإستراتيجية تقربه من القسطنطينية[3]. لذا احتل شطرا كبيرا من البحر الأبيض المتوسط حتى يؤهّلهم ذلك لأن يسبقوا أعداءهم القوط بانتصابهم بروما.

لتأتي بعدها حملة الملك جنسريق و الذي جمع قواته المتكونة من الوندال و الآلان وبعض البقايا من القبائل السيلينغ والملحقين من القوط والسكان الأصليين لمنطقة غليسيا والبطيق والمنشقين من السواف. كانت الرحلة إلى أراضي شمال إفريقيا بمثابة هجرة جماعية قصد من ورائها الاستقرار النهائي، فكانوا محملين بكل عتادهم وأغراضهم من مؤونة ودواب، وهذا ما استدعى توفير أسطول كبير[4].

بدأت الهجرة من موقع أيوليا تراجوكتا (طريفا حاليا) الواقعة على مضيق جبل طارق، في شهر ماي 429 م، وهو المكان الأقرب من الشواطئ المغربية. ولقد قدّر الملك جنسريق كل المعطيات من

---

[1]- Courtois (Ch.), les Vandales et l'Afrique, p. 157.

[2]- - دبوز .(م. ع) ، تاريخ المغرب الكبير. الجزء الأول. القاهرة 1974، ص. 321.

[3]- Courcelle (P.), Histoire littéraire des grandes invasions germaniques, Paris, 1948, p.92.

[4]- سليم دريسي ، المرجع السابق ، ص 60.

حيث الزمن والمسافة لإنجاح عملية الزحف على إفريقيا ، متجها بذلك إلى سواحل موريطانيا الطنجية حتى يتسنى للزوارق القيام بعدة رحلات في وقت قصير ، وكذلك لتفادي إن لزم الأمر ، الأحوال الجوية الرديئة من حين لآخر ، لكن هذه الفرضية يواجهها واقع مادي يجعلها منطقيا صعبة القبول. إذ على غرار سكوت المصادر في شأن الوجود الوندالي بهذه المنطقة، يستبعد التسليم بسهولة الوصول إلى عنابة في ظرف سنة أي في 430 م[1]. فعملية الهجرة في هذه الظروف تتطلب عتادا كبيرا ومدة أطول دون أن نتجاهل عامل الخطر من البحر ، فمن الممكن جدا أن الملك جنسريق فضل عدم المخاطرة وشدّ رحاله إلى أقرب ميناء في شمال إفريقيا.

مهما كان الأمر فعملية الهجرة الجماعية لم تتعد فصل الصيف، وتعرضت المصادر والمراجع إلى السبل التي اتخذها الوندال للوصول إلى مبتغاهم ألا وهي مدينة قرطاجة. كان الاتجاه من الغرب نحو الشرق، لم يستغن الملك جنسريق عن أسطوله، فالرأي العام اتفق على أن الأسطول الوندالي تابع رحلته في البحر عبر محطات متتالية[2]. وثبت وجوده في شرشال التي تزخر آنذاك بميناء كبير به مخازن للقمح والزيوت وكل المنتوجات التي تصدر من هذا المكان إلى روما[3].

هزم الكونت بونيفاص في ضواحي مدينة هيبون، ففرّ والتجأ مع ما تبقى من جنوده بداخل المدينة، فحاصره جنسريق في شهر جوان 430م[4] ودام الحصار مدة دامت أربعة عشر شهرا، توفي خلاله الأسقف أغسطينوس في 28 أوت 430م وكتب بوسيديوس: " أنه لم يكن باستطاعة المحاصرين الاتصال بالخارج لا من جهة اليابسة ولا من جهة البحر "[5]. وهذا ما يؤكد أن أسطول الوندال كان يفرض حصارا بحريا كذلك. فشعر الرومان، سواء كانوا من القسطنطينية أو من روما، بالخطر الذي سوف يهددهم في

1- شنيتي(م.ب)، الجزائر في ظل ...ص 378-379.

2- Courcelle (P.), op.cit, p.93

3- Gourdin (H.), op. cit, p. 134.

4- شنيتي(م.ب)، الجزائر في ظل...ص. 381.

5 -Possidius, vie de Saint Augustin.

عقر ديارهم. فحظيت قرطاجة، التي هي الرمز الأول والأخير للوجود الروماني في شمال إفريقيا، بكل العناية. بالرغم من ذلك لم يكتف الوندال بكل التنازلات التي قام بها الرومان فظلت أنظاره منصبة على قرطاجة التي هي الرمز المثالي للسلطة بشمال إفريقيا. استغل فترة الهدنة مع الرومان لتعزيز نفوذه والتخطيط لمهاجمة آخر معقل للسلطة الرومانية. وبالفعل استولى على قرطاجة يوم 19 أكتوبر 439 م وتذكر المصادر أن هذه المدينة المحصنة سقطت في يد جنسريق بالحيلة دون معركة، وأصبحت بعد هذا الفعل كل شمال إفريقيا في قبضته[1]، و ظل الأسطول الوندالي يجوب في البحر المتوسط وقطع على روما تموينها بالمنتوجات القادمة من شمال إفريقيا، وهاجم الجزر المجاورة لإيطاليا بما فيها صقلية عام 440م. اضطرت روما لإبرام معاهدة جديدة عام 442 م، وكانت في هذه الفترة في صالح الملك الوندالي. فتخلى جنسريق على المقاطعات التي كانت تحت سلطانه وتحصل بالمقابل على المناطق الخصبة والتي تتمثل في مقاطعات البروقنصلية وبيزاكينا ونوميديا.

رغم هذه العهود توالت الهجمات الوندالية على كل جزر البحر الأبيض المتوسط، وفتح المجال للعدوان من جديد حين قتل الإمبراطور فالونتينيانوس الثالث في 16 مارس 455 م على يد بيطرون ماكسيم، وهو أحد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني، فاحتل على إثرها جنسريق كل مقاطعات شمال إفريقيا واستولى على جزر الباليار وسردينيا وكورسيكا وصقيلة[2].

و نظرا لعدد الوندال ومقارنة بعدد سكان شمال إفريقيا، فإنهم لم يحدثوا تغييرا ملموسا في التركيبة الاجتماعية للرومانو إفريقيين، فاكتفى الوندال باحتلال النقاط الإستراتيجية في المجال الاقتصادي باتخاذهم المناطق التي تزخر بالأراضي الخصبة. وتجسدت سيطرتهم خاصة في مقاطعة البروقنصلية

1- سليم دريسي ،البيزنطيون في شمال افريقيا ، ص 70.

2- Victor de Vita, op- cit, I- 13- 14.

ومقاطعة بيزاكينا وشطرا من نوميديا، بينما شملت هذه السيطرة بنسبة ضئيلة ولوقت محدد كل من موريطانيا القيصرية و السطايفية ولم تمس مقاطعة موريطانيا الطنجية[1].

عرفت شمال إفريقيا تحت سلطة جنسريق تراجعا في التوترات والاضطرابات التي شهدتها خلال القرون الماضية. و بهذا فالأحداث التاريخية تؤيد فكرة أن المور كانوا حلفاء الوندال في الفترة الأولى، أولم يرافقوهم و شاركوا معهم في غزوتهم على مدينة روما عام 455م، بل أن الوندال في نفس المعركة ضحوا بحياتهم من أجل نجاتهم عند محاصرتهم من طرف الفرق العسكرية الرومانية. كما ذكرت المصادر لجوء الطرفين إلى اقتسام الرهائن والغنائم حين عودتهم إلى قرطاجة[2].

- **النزاعات بين الوندال و القبائل المورية:**

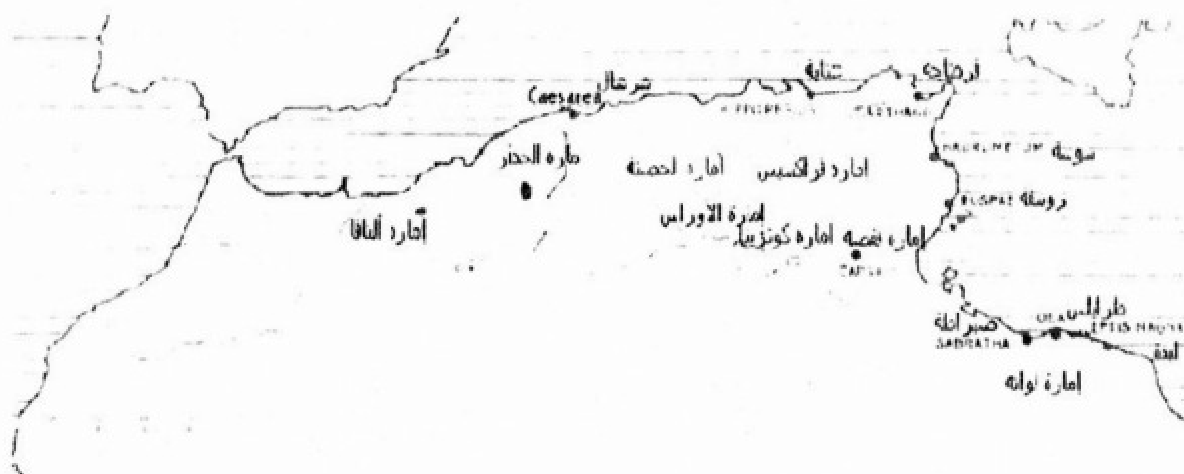
نشأت الممالك المورية وتكوّنت في العهد الروماني وقويت سلطانها في آخره، وقد برزت على شكل إمارات، ومن خلال الدراسات فقد أحصى كورتوا ثماني ممالك تتوزع عبر مختلف المقاطعات من ضمنها مملكة كوتزينا Cusina بمقاطعة البروقنصلية أي شرق مملكة الأوراس التي حكمها الملك ماستياس Masties ثم خلفه فيما بعد ايابداس Iabdas، ثم تليها مملكة قفصة في جنوب مقاطعة بيزاكينا[3].

---

[1]- Courtois (Ch.), de Rome à l'islam, p. 33.

[2]- سليم دريسي ، البيزنطيون في شمال افريقيا ...، ص 72.

[3]- سليم دريسي ، البيزنطيون في شمال افريقيا ...، ص 54.



خريطة04: تمركز الإمارات المورية بشمال إفريقيا

عن : Courtois (Ch.), Les vandales et l'Afrique

و بشمال المقاطعة كان الملك انطلاس يقود قبائل الفراكسيس Fraxes و أخيرا في مقاطعة الطرابلسية قبائل لواتة بقيادة كباوون Capaon .

بدأت النزاعات بين الوندال والمور بعد وفاة الملك جنسريق وكانت قبائل الأوراس هي الأولى التي ثارت وانتزعت استقلالها، فلم يستطع الوندال إخماد تلك الثورات[1].عقب هذه الحادثة قامت ثورة مسّت كل قبائل لواتة الذين غزو مدينة لبدة، و استطاع الدّوق سرجيوس أن يهزمهم في أول الأمر دون أن يبعد الخطر نهائيا. و لما أحس بخطورة الموقف نظرا للمضايقة الكبيرة الممارسة من طرف هؤلاء القبائل الثائرة، بعث إلى عمه صولومون يستنجد به، وما كان على هذا الأخير إلاّ جمع جنوده و الخروج بهم لمواجهة قبائل لواتة قرب مدينة تبسة[2].

[1]- Procope de Césarée, op. cit, I- VII- 5.

[2]- سليم دريسي ،البيزنطيون في شمال افريقيا ...، ص 75.

* كوتزينا : مملكة مورية بجنوب مقاطعة البروقنصلية .

* انطلاس: ملك قبيلة الفراكسيس المورية بالجنوب الغربي لمقاطعة بيزاكينا .

ومن الجانب المعاكس انضم الأمير كوتزينا * إلى القوات البيزنطية و بفضل هذا التحالف كانت لهم الغلبة اذ استطاعوا فرض الانتصار في معركة تبسة مما اضطر انطلاس* إلى الفرار نحو الجنوب .

اعتبرت المعركة الثانية التي وقعت بعد بضعة أيام من الأولى في سهول القصرين بالمعركة الحاسمة فصل فيها الأمر نهائيا بين الطرفين. إلتقى الجمعان ليفسر القتال بنصر القبائل المورية. و يفسر بعض المؤرخين هذا الفوز انه كان نتيجة تماطل وتخاذل القوات البيزنطية بما فيها جيش صولومون و جيش القبائل المورية الموالية له، كونهم حرموا من اقتناء الغنائم التي استحوذوا عليها في معركة تبسة، فهذا العصيان و الانضباط كلف للجنرال صولومون حياته، اذ قتل في ربيع 544 م رغم الصادر من طرف كوتزينا[1].

عانت مقاطعة بيزاكينا من ضربات المور خلال حكم الملك غونتاموند وعمّت نيران الحرب أغلب مدن المقاطعة ولم ينج منها إلاّ بعض المواقع الساحلية[2]. فخرّبت الأرياف والتجأ القرويون إلى تحصين ضيعتهم كما فرّ العديد من السكّان وذهبوا للبحث عن أماكن آمنة[3]. وبقيت بالتحديد الجهة الجنوبية الغربية لبيزاكينا التي تمثل الأكثر تعميرا والأكثر غناء بالموارد الفلاحية والاقتصادية من المقاطعات الأخرى هي الأكثر عرضة لانتهاك فضائها.

1- سليم دريسي ، نفس المرجع ، ص 76 .

2-Courtois (Ch.), Les vandales, p. 343.

3-Gautier (E.F.), Genséric, p. 286.

كانت إمارة أنطلاس توجد في الجنوب الغربي لمقاطعة بيزاكينا بينما كانت ممتلكات كوتزينا في سهوب جنوب هذه المقاطعة، ولم يهدأ هؤلاء المور في الملاحقة والهجوم على كل ما يرمز للكيان الوندالي، ولم تنجوا مدن هذه المقاطعة من ضرباتهم ودمّرت مدينة روسب RUSPE بعد موت فولقونس في 01 جانفي 532م، فأحرقت معالمها وقتل العديد من سكّانها وهم بداخل أماكن العبادة[1].

أقبل سكّان حضرموت، سوسة حاليا، بتأمين أنفسهم قبل سنة 533م ببناء سور دفاعي مستعينين في ذلك على بقايا مواد البناء لسور المدينة وبعض الحجارة المأخوذة من منازلهم[2]، كما أسرع في شهر سبتمبر 533م معمري مدينة سلكتة بالقيام بنفس إنجاز سكان حضرموت حتى يتحصّنون من الخطر الموري[3].

إنّ هذه الأحداث التي خصّت المقاطعات حيث يغلب فيها الوجود الوندالي أرهق من سلطتها وأضعف قوة هياكلها العسكرية، كما أنّ الصراعات التي استحدثت بعد إطاحة هلديريك من طرف غليمار كانت من الأسباب التي سوف تعطي الإرادة الكافية للإمبراطور جوستينيانوس للخوض في استرجاع إمبراطورية أجداده.

---

[1]- سليم دريسي ، البيزنطيون في شمال افريقيا : الاحتلال و العمارة الدفاعية، عن:
Lapeyre (P.), Saint Fulgence de Ruspe, un évêque catholique africain sous la domination vandale, Paris, 1929, pp. 323- 327.

[2]- Procope de Césarée, De aedificis, VI, 6, 1- 5.

[3]- Ibid, la Guerre contre les vandales, I- XVI- 9.

- **الحملات العسكرية و اهم المعارك :**

اسند الإمبراطور جوستينيانوس مهام قيادة الجيش من القسطنطينية الى شمال إفريقيا الى الجينرال بليزار الذي تحنك في الأمور العسكرية من خلال خبرته في الحرب ضدّ الفرس، حيث شاءت الأقدار أن يفسح الطريق للبيزنطيين دون معارضة كون أغلبية الأسطول الوندالي توجه إلى إخماد ثورة غوداس، وأن غليمار من جهته كان يجهل تماما النوايا العدوانية للبيزنطيين[1]. رغم معاناة الجيش البيزنطي من الظروف المناخية الصعبة وتخللت الرحلة عدة محطات سواء في الموانئ للساحل الأدرياتيكي أو في الجزر البحر المتوسط وأهمها صقلية.

وجهّت الرياح المركبات إلى الشاطئ الشرقي لتونس و حطت رحالها في شاطئ معزول برأس كبوديا في بداية شهر سبتمبر 533م. واقترح أحد القادة أركيلاووس في مجلس الحرب على بليزار بأن يتم الوصول إلى قرطاجة بحرا وتكفي معركة واحدة للقضاء على رمز السلطة بشمال إفريقيا معترضا بذلك الفكرة الرامية إلى التوجه إلى قرطاجة برّا. وهذا نظرا للمخاطر العديدة التي سوف تقف أمامهم والتي تخص أمنهم كون من جهة كل المدن لا تحتوي على أسوار دفاعية ماعدا قرطاجة، ومن جهة أخرى عدم توفير موانيء تستوعب كل الأسطول بأمان.

رغم هذه الاحتجاجات قرّر بليزار قطع مقاطعتي بيزاكينا و البروقنصلية برّا وفضل مواجهة عدوه على اليابسة ليتجنب لجيشه معركة بحرية[2]. و أولى المعارك التي واجهها غليمار مع البيزنطيين بموقع آد ديكيموم DECIMUM قرب خليج تونس على بعد 15 كلم من قرطاجة[3]، ودخل بليزار إلى قرطاجة في 15 سبتمبر 533م معززا نفوذه بالأسطول الذي اتبّع خطواته، كما حرص على أمن المدينة وتأمين أملاك

---

[1]- Procope de Césarée, La guerre contre les vandales, I- XIV- 8- 10.

[2]- Procope de Césarée, « Fragments tirés de l'histoire de la guerre contre les Vandales », Cahiers d'Archéologie Tunisienne, 1934, pp. 86- 90.

[3]- تبعد أد ديكيموم عن قرطاجة بـ 15 كلم وهو ما يعادل تقريبا 10 أميال رومانية، وبالفعل وجد بعين المكان علامة الميل العاشر المنطلق من قرطاجة، ويعرف حاليا هذا المكان بهنشير العين وهو على سفح جبل بوقرنين المعروف بإسم حمام الأنف نسبة إلى قرية تحمل نفس الإسم.

سكّانها، ودخل إلى قصر غليمار جالسا على العرش باسم إمبراطوره جوستينيانوس ليجسّد هنا الخطوة الأولى باسترجاع الإمبراطورية الرومانية أحد أكبر رموزها بشمال إفريقيا.

اقترب الجيش الوندالي من قرطاجة بحوالي 26 كلم نحو الغرب بموقع تريكا ما روم، واقتصرت الخطة على عزل أهل المدينة بمنع دخول القوافل التي تموّنها، وقطع عليها المياه الصالحة للشرب بالسيطرة على القنوات التي توصل هذا العنصر الحيوي[1]. و المنتظر من هذه الخطة هو إرغام الجيش البيزنطي إلى الخروج من قواعده لمواجهته في مكان يتكيف مع خطّته الحربية. لمّا تأكد بليزار أنّ مدينة قرطاجة أصبحت محصّنة خرج في 15 ديسمبر 533م إلى موقع تريكا ما روم والتقى فيها الجمعان، استطاع القائد يوحنا الأرميني بمساندة فرسان الفرقة الخاصة لبليزار بخرق صفوف الجيش الوندالي وقتل تزازون وتراجع باقية الجيش إلى معقله.

ولمّا أدرك غليمار أنّ عدوّه على مشارف مخيمه، فرّ خفية رفقة أقاربه من غير أن يشعر جيشه بهذه الخيانة[2]. ومهما كان الأمر فقد كلّف بليزار قائده فاراس بمحاصرة المكان ورجع هو إلى تسيير أمور البلاد من قرطاجة. ودام هذا الخناق ثلاثة أشهر عانى فيهم غليمار من الجوع والحرمان و قساوة برد فصل الشتاء، وفي نهاية شهر مارس 534 م سلّم نفسه بعد تلقيه ضمانات تؤكد له معاملة شريفة[3]. ولمّا صاح جوستينيانوس بعد النصر في معركة تريكا ما روم :" أنّ الله أعاد إليه إفريقيا بجميع مقاطعاتها "[4] فإنه يجهل إلى حدّ كبير الحقائق التي تطرح على الواقع الإفريقي. وإن كانت شريحة من المجتمع قد رحّبت بسقوط المملكة الوندالية، فإنّ العديد من إمارات المور كانت تتربصّ وتعاين الوضع الجديد الذي سوف يسفر عن انتفاضة تستلزم على البيزنطيين إقامة عمارة دفاعية للحدّ من خطر الموريين.

---

[1]- جوليان(ش.أ)، المرجع السابق، ص. 359

[2].-Procope de Césarée, La guerre contre les vandales, II- I- 6 et II- I- 12.

[3]- Procope de Césarée, La guerre contre les vandales, II- VII- 7- 17.

[4]- Diehl (Ch.), l'Afrique Byzantin, p. 34.

- **التقسيم الإداري للمقاطعات البيزنطية بشمال إفريقيا:**

و نقصد به تحديد المقاطعات البيزنطية و إقليمها الجغرافي وتم تقسيم شمال إفريقيا حسب مرسوم جوستينيانوس إلى سبع مقاطعات[1] و يبقى الإشكال مطروحا حول الحدود الإقليمية لكل مقاطعة علما أن هذه الحدود تجاوبت مع الأحداث التاريخية بما فيها الاضطرابات الأمنية و التقلبات السياسية، التي كيفها الأباطرة عبر مختلف الفترات ليكون تسييرها ملائما لنظرتهم و لكي تتصدى إلى كل عدو يحاول خرقها.

تعرضت حدود كل المقاطعات إلى تغييرات في تخطيطها على أرض الواقع، من فترتي الإمبراطورية العليا والسفلى، مرورا بالفترة الوندالية إلى الاجتياح البيزنطي. وإن احتفظت الأقاليم الشرقية التي تضم البروقنصلية و بيزاكينا والطرابلسية مع مرور الزمن بمزاياها الإقليمية، فإن نوميديا و موريطانيا القيصرية والسطايفية كان الأمر بها مخالفا كون الإمارات المورية و النوميدية في صراع دائم ضد المحتل. ولذلك كان بسط الهيمنة البيزنطية يوصف بالمد والجزر وكذلك كان الحال بالنسبة لحدودها.

- **مقاطعة البروقنصلية:**

هي من أهم المقاطعات، كونها تحتضن كل المقرات الأساسية للمؤسسات المدنية والعسكرية في مدينة قرطاجة.

انبثقت منها مقاطعتين بيزاكيا و الطرابلسية خلال إصلاحات الإمبراطور ديوكليسيانوس الذي أضاف لها، من الجهة الشمالية، جزءا من نوميديا سميت "بنوميديا البروقنصلية". وكانت حدود المقاطعة تمتزج بصورة شبه مطلقة مع حدود الأسقفيات، الشيء الذي اعتمدت عليه سياسة ديوكليسيانوس ثم قسطنطينوس في

[1] - Cod. Just, I, XXVII, 1

إعادة تقسيم المقاطعات[1]، ولذلك اعتمد الباحثون في تحديد الحدود الإقليمية لكل مقاطعة على أساس وفرة الأسقفيات و ربطها بوحدة الأم[2].

تتربع مقاطعة البروقنصلية على الجزء الشمالي من تونس حاليا و جزء من الجهة الشرقية الجزائرية. تبدأ حدودها من الجهة الجنوبية الشرقية ما بين مدينة سوق الأبيض PUPPUT و هرقلة HORREA CAELIA [3]، لترسم خطا منحرفا نحو الجنوب الغربي ليصل إلى هنشير العساس مرورا بمدن "المدينة ALTHIBUROUS وحيدرة AMMAEDARA".

تصل حدودها من الجهة الغربية إلى كل من تاكوش TACATUA المتواجدة على الشريط الساحلي ومنه باتجاه الجنوب تمر على كل من قالمة CALAMA وسلاوة عنونة THIBILIS وتبسة THEVESTE لتلتقي مرة أخرى بالخط الحدودي القادم من الشرق ليكون هنشير العساس هو نقطة الاتصال.

ومهما يكن من أمر فإن مرسوم جوستينيانوس في إطاره العسكري يقر بأن مقر الدوق لنوميديا يكون في قسنطينة CIRTA[4]، مما يوحي أن نوميديا البروقنصلية و عاصمتها هيبوريجيوس (عنابة) تشكل أسقفية لها حدودها تتداخل مع حدود البروقنصلية و التي احتضنت خلال القرن الخامس أكثر من خمس عشرة مدينة لكل واحدة منها أسقف[5]. أضف إلى ذلك الكتابات التي عثر عليها في قالمة و التي تنص على أنها مازالت من نهاية القرن الثالث إلى القرن الخامس تحت رئاسة بروقنصل مقاطعة البروقنصلية[6].

[1] - Perronet (Cpt.), op. cit, pp. 28-29
[2] - Toulotte, Géographie de l'Afrique chrétienne, t. IV, Proconsulaire, Paris, 1892.
[3] - Tissot (Ch.), Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, t. II, Paris, 1888, p. 45.
[4] - Cod. Just, I, XXVII, 2
[5] - Lancel (S.), Evêchés et cites dans les provinces africaines (III-V siècle), Rome, 1990, p. 284.
[6] - Toulotte, op. cit, p. 43.

- مقاطعة بيزاكينا:

أنشئت هذه المقاطعة في نهاية القرن الثالث و بداية القرن الرابع الميلادي، و قد تعسر ضبط الحدود الفاصلة بينها و بين مقاطعة الطرابلسية. ويذكر ديهل أنها تبدأ من قابس TACAPE من وراء الشطوط وتأخذ مسارا للطريق الرابط بين قابس و قفصة CAPSA[1]. كما يرى كانيا أنه عند شط الجديد تنتهي حدود الطرابلسية من الشمال لتبدأ حدود بيزاكينا[2].

لقد أشير أن الحد الفاصل بين بيزاكينا و البروقنصلية من الناحية الشمالية يتموضع ما بين مدينتي الحمامات PUPPUT و هرقلة HORREA CAELIA[3]. لكن بالنظر والاعتبار إلى المزايا الجغرافية لهذه المنطقة، يتضح أن الحمامات هي من ضمن مقاطعة بيزاكينا و التي انطلاقا منها يتطابق الخط الحدودي مع مورفولوجية الهضاب والتضاريس من الشرق نحو الغرب، لينحرف عند سفوح الجبال الموجودة غرب تبسة، ويتجه جنوبا ما بعد شط الغرسة لينتهي عند مدينة نفتة NEPTE.

كما يذكر شاستانيول، إن تعديل حدود بيزاكينا من مدينة الحمامات يعود لفترة ما قبل الاجتياح الوندالي لشمال إفريقيا[4]، ويقترح برينجل تعديل خريطة صالاما الذي ضم هذا الأخير حيدرة إلى بيزاكينا، بإعادتها إلى مقاطعة البروقنصلية، وكذلك إعادة الحمامات إلى بيزاكينا بعدما صنفت ضمن البروقنصلية[5].

---

[1] - Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine, p. 232.
[2] - Cagnat (R.), L'armée romaine d'Afrique,op-cit
[3] - Tissot (Ch.), op. cit, p. 45
[4] - Chastagnol (A.)., Duval. N, "Les survivances du culte impérial dans l'Afrique du Nord à l'époque vandale" Mélange d'histoires anciennes offerts à Seston. W. Publication de la Sorbonne, séries "études", 9, Paris, 1974, p. 101.
[5] - Pringle (D.), op. cit, p. 62.

- مقاطعة الطرابلسية:

لم يطرأ تغيير على حدودها الجنوبية طوال الفترة القديمة و حتى قدوم العرب. وبقيت هذه الحدود ذات الأصل الإغريقي-اليوناني على نفس الأوصاف و الوظائف منذ الفترة الرومانية مرورا بالفترة الوندالية إلى الفترة البيزنطية.

من الصعب حسب ديهل تحديد الحدود التي أقيمت في الفترة البيزنطية لهذه المقاطعة[1]، إلى أنه يمكن حصر امتداد الطرابلسية من خليج السرت جنوبي وقابس شمالا[2]. وتستمد الحدود الشمالية مصداقيتها من منظور جيومورفولوجي تم بيانه حين تطرقنا إلى مقاطعة بيزاكينا. يمكن إضافة أن منطقة قابس تدخل ضمن السهول الساحلية الواسعة. ثم فيه تشابه و تجانس بينها و بين المدن الواقعة في الطرابلسية فيما يخص نوعية التربة، وتشترك معها في المناخ من حيث الحرارة و تساقط الأمطار.

وفصلت هذه المقاطعة عن إدارة شمال إفريقيا وضمت خلال إصلاحات موريس إلى أسقفية مصر لتشكل معها وحدة ترابية، وأعتبرها العرب خلال الغزوات الأولى أنها فعلا من ممتلكات مصر، لكن من المرجح أنها أعيدت إلى إقليم شمال إفريقيا حين أعلن الحاكم البيزنطي جرجيس استقلاله عن السلطة البيزنطية، فأعتبر نفسه ملكا على الإقليم الممتد من طرابلس إلى طنجة[3].

- مقاطعة نوميديا:

شهدت مقاطعة نوميديا خلال المراحل التاريخية عدة تقسيمات لإقليمها، و جزئت حسب رغبات الأباطرة، كما نقلت عاصمتها من لامبيز إلى سيرتا استجابة للتحولات السياسية[4]. و استنادا على

[1] - Diehl (Ch.), l'Afrique Byzantine, p. 228
[2] - Pringle (D.), op. cit, p. 63
[3] - Duval (N.), L'Afrique dans l'empire byzantin, p. 39
[4] - Toulotte, Géographie de l'Afrique chrétienne, t. III, Numidie, Paris, 1984, pp. 1-17.

بروكوب[1] في تحديد اتساع هذه المقاطعة من الجهة الشرقية، اعتقد بعض الباحثين أن نوميديا أصبحت في القرن السادس، بعد إصلاحات جوستينيانوس، من أكبر المقاطعات في شمال إفريقيا[2]، ضمت إليها مدنا كانت واقعة بنوميديا البروقنصلية، مما أحدث تضاربا في أعمال الباحثين في هذا الشأن:

بدءا ديهل وبرينجل اللذان يعززان هذا المنظور في أطروحتهم[3]، لكن و نظرا لنقص الأدلة القاطعة من جهة، وعدم حصرها بدقة بروكوب لمفهوم مصطلح نوميديا من جهة أخرى الذي يضم مفهوم جغرافي اثنوغرافي اللذان يحددان رؤية تتعدى الإطار الإداري[4]. كما اعتمد تروسي[5] من جهته على ضبط الوجود البيزنطي في جنوب الأوراس على المصادر المكتوبة و المعاصرة للفترة البيزنطية بشمال إفريقيا، و كذلك بدراسة المواقع الأثرية كتهودة و مديلة الموجودة شمال-غرب نقرين. وأتضح له خلال مقارنة معمارية لمختلف المنشآت العسكرية بالمنطقة و كذلك ببعض البقايا الأثرية، أنه فعلا كانت هذه المنطقة شبه الصحراوية تحت سلطة الهيئات البيزنطية، و أن المدن التي كانت تحت السلطة الوندالية استرجعت لتشكل خطا لليمس يربط بين تهودة و بادس و مديلة بالساحل التونسي.

- **مقاطعة موريطانيا السطايفية:**

سميت موريطانيا السطايفية بموريطانيا الأولى وهي من ضمن "بلاد الزاب" وعاصمتها ستيفيس[6]. واسترجعت إلى السلطة البيزنطية بعد الحملة الثانية لصولومون على الأوراس سنة 539 م[7].

يمكن اعتبار حدود هذه المقاطعة بالمتحركة كونها تراجعت مع مرور الزمن. فكانت في أول الأمر تتمتع بإطارها الجغرافي الذي حدد في فترة الإمبراطور ديوكليسيانوس، فمن جهتها الشرقية والتي

---

1 - Procope de Césarée, La Guerre contre les vandales, I, III, 31., I, XXV, 1 . , I, IV, 26.
2 - Pringle (D.), op. cit, p. 61.
3 - Diehl (Ch.), l'Afrique byzantine, pp. 237-253
4- طالع في هذا الشأن: سليم دريسي، البيزنطيون في شمال افريقيا الاحتلال و العمارة الدفاعية.
5 - Trousset (P.), "Les limites Sud de la réoccupation byzantine", An. Tard, 10, 2002, pp. 143-150.
6 - Desanges (J.), « Un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandale et byzantine » ,Byzantion, 33, 1963, pp. 59-60.
7 - Diehl (Ch.), l'Afrique byzantine, p. 254.

القيصرية منطقة حرة تعسر على جوستينيانوس استرجاعها. فعلى غرار مدينة القيصرية، عززت بعض المدن الساحلية بمنشآت عسكرية بيزنطية مثل زيامة منصورية CHOBA، وأزفون RUSAZUS وتيقزيرتIOMNIUM اللواتي بهن قلع بيزنطية وتامنتفوست RUSGUNIA حسب كتابة تذكر إبراز قائد للجيش في مساهمته لإعادة تشييد معلم ديني.

- موريطانيا الطنجية:

مثلت مدينة سبتة مركزا استراتجيا في هذه المقاطعة. فهي همزة الوصل بين الممتلكات البيزنطية بالمغرب القديم و تلك الموجودة بجنوب اسبانيا، لذلك لا يمكن الاستغناء عليها خاصة وأنها بوابة لإفريقيا من الجهة الغربية. فهي تسد الطريق لكل خطر وارد من هذه الجهة.

لعل السياسة العسكرية البيزنطية أخذت بعين الاعتبار أن الاجتياح الوندالي كان من هذا المنفذ لذلك عملت على تحصين الموقع ومرافقته بأسطول حامي للشريط الساحلي. وأصر جوستينيانوس على القائد بليزار سنة 534 م على تحصين المكان وتعيين قائد يشرف على مراقبة هذا المضيق. كما ضمت إليها الجزر المجاورة كجزر الباليار وكذلك جنوب اسبانيا التي استرجعت بعدما كانت خاضعة للقوط، وشكلت مع أسقفية اسبانيا إقليم على حدة. لكن من الناحية العسكرية ظلت سبتة وما تضمه موريطانيا الطنجية من ممتلكات بيزنطية تحت إدارة الدوق لموريطانيا القيصرية[1].

يتضح من خلال الحدود الإقليمية البيزنطية أن خط الليمس الذي كان يغطي جزءا كبير من الأراضي الإفريقية بدأ بالتراجع عبر كل الفترات التاريخية. فبعد فترة استرجاع المناطق التي كانت خاضعة للسلطة الوندالية، و بعد فترة الصراع الموري البيزنطي للسيطرة على الأقاليم الحرة، باشر صولومون بتقوية

[1] - Pringle (D), op. cit, p. 65.

الوجود البيزنطي ببناء منشآت عسكرية ذات أنماط مختلفة، كان هدفها الأول هو سياج المناطق التي تم احتلالها من جديد.

وكانت الأخطار متشعبة منها الناجمة مباشرة من الأمراء المور الذي ظلوا يباشرون في فرض خناق على العناصر البيزنطية. كما كانت الحركة السكانية تشكل قلقا للحكام في محاولتهم تنظيمها وفق خططهم الدفاعية، أضف إلى ذلك الاضطرابات الناتجة عن غضب المواطنين البيزنطيين الذين كانوا يزيدون من توتر الأوضاع الأمنية الصعبة.

طوق البيزنطيون المقاطعات بعمارة عسكرية، فاستغلوا كل مناطق مقاطعتي البروقنصلية و بيزاكينا، بينما اشتمل هذا التمركز في الطرابلسية على بعض المدن الساحلية، وتراجعت سلطتهم بعد ثورات القبائل القاطنة في هذه الأرجاء الشبه صحراوية، ثم تقلص حكمهم من جراء زحف المسلمين بالمنطقة[1].

عانى صولومون في التوغل إلى الأوراس ومنه إلى مقاطعة نوميديا، وكلفته حملتيه الحربية جهودا وعناء كبيرين، وعند انتصاره في الحملة الثانية سارع إلى تأمين هذه المناطق الوعرة ذات مزايا جغرافية مميزة وذلك بتشييد عدد كبير من القلاع و المعسكرات في جهات مختلفة من الأوراس لتشكل حزاما عسكريا يراقب كل الحركات العدوانية في هذه الهضاب العليا.

ولم يستطع البيزنطيون من تثبيت الخط الليمس في موريطانيا السطايفية، رغم أنهم أقاموا قلعة في بشيلقة (مسيلة) ZABI JUSTINIANA، التي كانت تشرف على ممر رئيسي يربط بين الجنوب النوميدي و مدخل المقاطعة السطايفية، لتمثل موقعا استراتيجيا يراقب الحدود الغربية للبلاد الخاضعة للبيزنطيين[2].

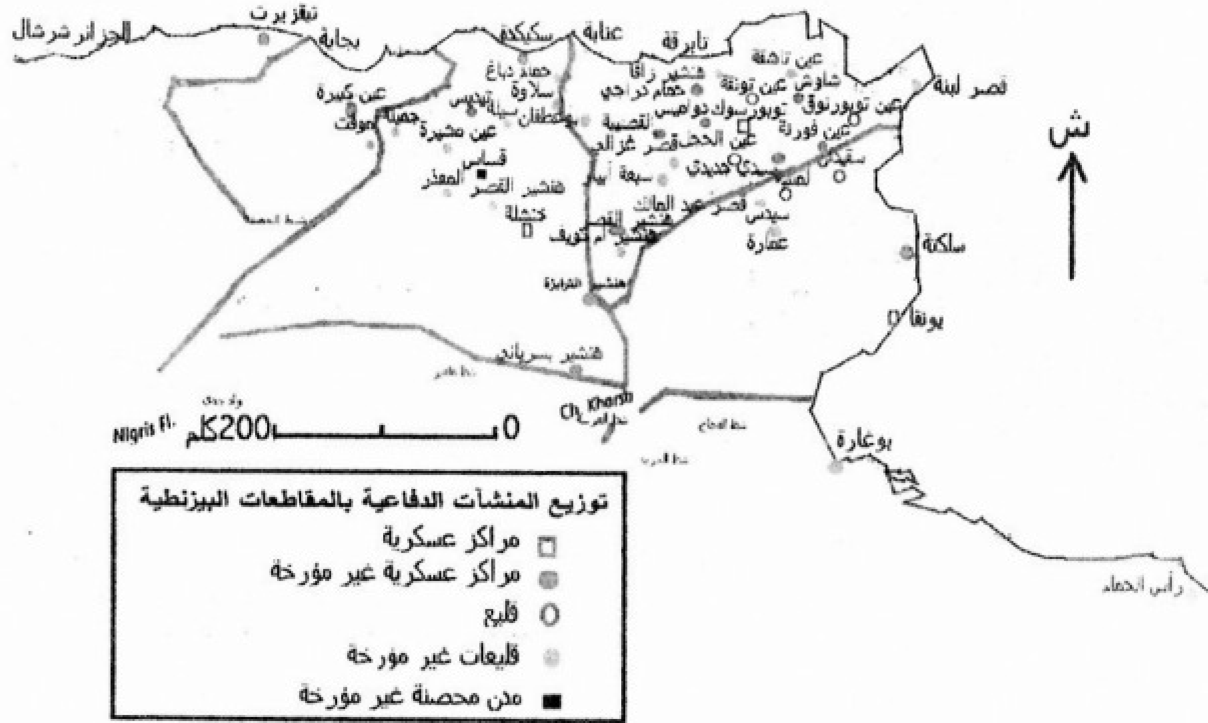
---

[1] - Duval (N.), L'Afrique dans l'empire byzantin, p. 41.

[2] - شنيتي (م.ب)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني. الجزء الثاني، ص. 415.

علما أن المنطقة كان بها خلال الفترة الرومانية مواقع دفاعية ترسم خطا دفاعيا؛ الأول لمقاطعة القيصرية وأن زابي جوستينيانا تحرس فجوة الحضنة من الجهة الغربية و طبنة من الجهة الشرقية[1].

خريطة5: توزيع المنشآت الدفاعية بالمقاطعات البيزنطية في شمال إفريقيا.



عن: سليم دريسي، البيزنطيون في شمال أفريقيا: الاحتلال و العمارة الدفاعية، ص 190.

بتصرف الطالبة

بناءا على الأوضاع غير المستقرة التي عرفتها المنطقة قبيل و خلال التواجد البيزنطي فهو من المنطقي انجاز شبكة طرقات هامة تسهل من عمليات تحرك الجيوش لتطويق و اخماد مختلف الثورات و تسهيل حركة السير للأهالي أنى أرادوا و، فنجد بالمنطقة المراد دراستها وجود طريق روماني استغل الى غاية

[1] - Salama (P.),"Quelques incursions dans la zone occidentale du lime de Numidie," Ant. Afr, t. 27, 1997, p. 97, fig. 1.

فترات متأخرة من الفترة القديمة و نفس مسار هذا الطريق بقي حسب اعتقادي مستغلا الى غاية يومنا هذا.

3-شبكة الطرقات القديمة:

طريق تيفاست – لامبيز: في فترة حكم تراجان(98-117) قام بتحصين النقاط أو الأماكن المحيطة بمدينة تيمقاد Thamugadi في بداية سنة(100) و ذلك بإرسال فيلق الى معسكر لامبيز. و في غضون 5 سنوات آمر تراجان ببناء حصن جديد في التخوم الجنوبية للنمامشة و الاوراس وهو حصن AD Majores أو بسرياني و هو الطريق الاستراتيجي الذي يؤدي الى Thabudeos و ذلك بمحاذاته لواد الكنترة (Oued El Kantara) ليمر الى تونس و بالتحديد الى حصن توزر (Tusuros) . [1]

ليأتي بعده الإمبراطور هادريان (117-138) الذي قام ببناء معسكرات على الحدود التي تؤدي الى الصحراء و تتمثل في الخط الدفاعي *"الليمس"*، و من بين هذه الطرق :

لامبيز – تاكابس(Lambése_Tacapes) و كذلك (Thevest_Thelepte) تيفاست– القصرين عبر بير أم علي(فج تينوكلة) . [2]

تيفاست– نقرين(Thevest_Negrines): تمر هذه الطريق الرئيسية الى الجنوب الغربي عبر جبل مجور(AD Majores) أو كما تسمى محليا *بسرياني* و هي أثار تمتد على الضفة اليسرى للواد المسمى واد قديم و لعله المجرى القديم لواد خسران. تبعد بحوالي 80كلم عن بادس(Badias) عبر موقع تادارت(Taddert) الاثري و اكثر من ذلك تحدد المسافة من أد مايورس الى تيفاست بـ 101 ميل(150كلم) و هي المسافة بين بسرياني و تبسة، و تتسع الأدلة الى كون بسرياني ملتقى لطرق عديدة

[1] - Salama(p), Les voies Romaine de l'Afrique du Nord, ALGER .p 26.
[2] - ibid,p 59 .

و أن الجبل المجاور و اسمه مجور ما هو إلا صيغة واضح اشتقاقها من ماجورس الاسم القديم لبسرياني.[1]

تخرج من مدخل هذه البلدة الأثرية الجنوبي طريق تتجه الى نفطة (Nefta) و في هذا المحل نص إهدائي الى الإمبراطور نيرفا(Nerva) كما نجد خارج السور في الجهة الشمالية قوس نصر بديع يعود الى الخامسة أو التاسعة من حكم الإمبراطور تراجان (102-106م) تنتهي إليه طريق رومانية.

يرى ماسكوراي أن بسرياني بلدة رومانية مزدهرة مماثلة للامبيز ، وهو يتفق مع اقزال الذي يقول أن قلعة بسرياني بنيت في مدخل الصحراء للتحكم في المنطقة، في عهد تراجان عندما امتد الليمس الروماني خلف الكتلة الأوراسية جنوبا و وقف على حافة الصحراء.[2]

و حسب اعتقادي فإن مسار الطريق الذي يربط تيفاست باد مايورس كان يتوغل في الممر الطبيعي المذكور آنفا و عليه اغتنم هذه الفرصة لإعادة رسم مساره الذي قد يكون على النحو التالي :

ينطلق الطريق من تبسة نحو نقرين باتجاه الجنوب الغربي مرورا بمنطقة ثليجان متتبعا في ذلك واد بوصاع الى منطقة راس العش التي كانت قديما مركزا للطائرات الحربية، كما تنتشر حولها مجموعة من القبور الميغاليثية ليتخذ مساره بمحاذاة واد مشرع ليأخذ مسارا مستقيما ثم ينكسر بعض الشيء نحو الجنوب الشرقي بفعل العوامل الجيولوجية الى جبل الكماكم، ليعود مرة أخرى ليتخذ مساره نحو الجنوب مرورا ببرج العنصل نزولا الى جبال مجور لينتهي الى نقرين أين تختفي هذه المسالك التي ذكرناها في مدخل الصحراء . ومن خلال دراسة هذه الطريق اتضح لنا بأنها رغم كثرة الجبال بها إلا انه كلما نزلنا نحو الجنوب ينخفض ارتفاعها بـ 200م مما يسهل عملية الحركة خاصة للقاطنين بالإقليم.(شكل3)

1- د. العربي عقون ، حوز تبسة ، انظر في ذلك:
Laporte(j.p), L'Afrique du Nord de la protohistoire à la conquéte arabe :De Nigrines Maiores à Négrine. Antiquités Africaines,Paris ,2011, p 51-102.

2- د.العربي عقون ، المرجع السابق، ص 90.

يتفرع من الطريق الرئيسي تيفاست– نقرين في الجهة الجنوبية الشرقية طريق ثانوي ينطلق من أوبازا عبر بير أم علي التي تؤدي الى القصرين Thélept، تنطلق عبر جبل الرطم و تأخذ مسارا مستقيما نحو الشرق الى جبال العنق ثم الى منطقة بير أم علي الأثرية الحدودية مع تونس التي تمرر الى بسرياني .

خريطة 6: المسالك الأساسية البيزنطية بشمال إفريقيا

عن: سليم دريسي، البيزنطيون في شمال افريقيا :الاحتلال و العمارة الدفاعية، ص 218.

بتصرف الطالبة

الفصل الثالث

دراسة وصفية تحليلية

أولا: عوامل اختيار الموقع

لقد سبق و أن أبرزنا الأهمية الإستراتيجية لهذا المعسكر الذي أريد أن يكون له مركزا في هذا الموقع الجغرافي بالذات و ذلك لسببين رئيسيين يتمثلان في:

1. **وجود ثغرات أو ممرات طبيعية** تعد بمثابة رواق تسهل الحركة فيه ليس للأشخاص فحسب بل حتى العتاد و الحيوانات المستعملة خلال عمليات العبور لغرض السطو أو خلال مختلف التحركات الثائرة ، نظرا لصعوبة التضاريس المكونة لهضبة النمامشة التي تعد حاجزا طبيعيا يقف في وجه حركة المواصلات مهما كان نوعها.

فكان للممر الأوسط (شكل4) و الذي يعد من أهم المعابر الطبيعية في المنطقة الفاصلة بين مكان تواجد القبائل الثائرة و مختلف المدن و الرقع الجغرافية المستعمرة من طرف الرومان و البيزنطيين، و الذي لا شك فيه بحكم هيئته الإستراتيجية بان يكون عبارة عن معبر سلك منذ فترات قديمة أين نجده مدرج في فترات لاحقة (رومانية، بيزنطية) ضمن شبكة الطرقات المنجزة إبان هاتين الحقبتين.

و هذا ما وضحته خريطة شبكة الطرقات القديمة لـPeutinger و أطلس Barington (خريطة7) ، فلحماية هذا المسلك الحيوي ، استغل القدامى في إحدى الأماكن برأس العش ذات تحصين طبيعي كونها تتميز بـ:

2. **وجود مهماز طبيعي التكوين** سمحت بتكوينه العوامل الجيولوجية التي حدثت خلال الأزمنة الجيولوجية ما قبل الزمن الرابع من حركات التوائية و تعرية سمحت ببروز هضاب في غاية التحصين الطبيعي، تعلو بعضها مهاميز ذات جوانب عمودية على هيئة جرف منيعة، على شكل موائد، كانت إحداها تطل على الممر الطبيعي و تعلو كل المنطقة على أمد البصر .

فكان لهذين العاملين الطبيعيين الرئيسيين سببا في اختيار هذا المهماز من طرف القدامى لان يصبح معسكرا بمعنى الكلمة، ليس لمراقبة حركة المواصلات فحسب بل يرابض به جمع من الجند للتصدي لهجومات القبائل الثائرة.

هذا الاعتقاد سلمت به حين قيامي بالدراسة الميدانية التي سمحت لي بالوقوف على أطلال هذا الموقع الكبير من حيث الأبعاد و المرفق بعناصر و معطيات حيوية من استغلال المساحات الزراعية القريبة من الموقع لغرض الاكتفاء الذاتي بالمحاصيل الزراعية و كذا بناء خزان مائي معتبر يمول الجند بما يكفيهم في حاجيات الشرب خلال الأوقات العصيبة.

ثانيا: وصف المعسكر

يتربع معسكر Ubaza على مقاسات هامة و معتبرة حيث يقدر اكبر طول له بـ103 م اكبر عرض له بـ 35,80 م ، تصل جرفه المنيعة بشكل عمودي الى غاية 11 م ارتفاعا، هذا ما سمح للقدامى تفادي بذل جهد اضافي في بناء اسوار هذا المركز التي لم أعثر على اجزائه سواء على حواف الموقع أو على المنحدرات و أسفل الربوة كذلك.

1- السور:

لم يقم من وقف وراء فكرة بناء المعسكر بهذه الربوة ببناء سور يحمي المعسكر ما عدا نقطة واحدة في الجهة الشمالية الشرقية تساءلت حينها عن سبب بناء سور نكاد ان نقول عنه بانه جزئي و محصور. فبعد المعاينة الدقيقة اتضح لي ما يلي :

- لم يتعدى مسار السور الركن الشمالي الشرقي للمهماز علما بأن هذه النقطة تعد بمثابة همزة وصل للمهماز الثاني عبر ذراع شبه افقي مقعر ، تمثل هيئته الطبوغرافية اضعف نقطة دفاعية طبيعية للمعسكر اذ ما قارناها مع المنحدرات الجد شديدة لباقي الاتجاهات الاخرى المحيطة بالمهماز .(صورة 8)
- بني هذا السور بصخور ذات حجمين متباينين، قلعت من عين المكان بل تكون قد شذبت من الصخور الكبيرة المنهارة التي تفككت من الجرف في هذه الجهة بالذات أو عن طريق تسوية النتوءات البارزة افقيا من الجرف.
- نظرا لصعوبة و مشقة العمل في البناء على مثل هذه التضاريس، استعملت الحجارة الصغيرة المتراوحة بين 0,30 و 0,90 م في الصفوف السفلى من السور، اما الكبيرة فاستعملت في الصفوف العلوية المتواجدة على مستوى سطح المعسكر(صورة 9)، و تعد حسب اعتقادي

بمثابة آخر صف للسور و انتزعت حجارته الضخمة من سطح المعسكر ووضعت بكيفية مريحة وذلك لسهولة الحركة و الرفع.

- هيئة السور و مساره ليس مستقيما فهو ينعرج حسب هيئة الأساس القاعدي الجلمودي الذي يرتكز عليه.

و نستنتج من هذه العناصر المذكورة بأن بناء السور في هذه النقطة بالذات يعود في الأصل الى وجود ثغرة غير دفاعية لهذا المعسكر المحيط بجرف عمودية في مختلف أنحائه.

تمثلت هذه الثغرة في الانكسار الطبيعي و الانهيار الجرفي الذي حصل على هذا الجزء من الجرف (أي النقطة الشمالية الغربية) ، و بالتالي تشكل أسوء مكان يمكن الولوج من خلاله الى أعالي المعسكر. ففي حقيقة الأمر لم يبن هذا السور على الحواف العلوية للمعسكر بل بني و كأنه ترميم للجرف الطبيعي، حيث نجده يسير على نحوه و يرمم الأجزاء المنهارة منه، و عليه أرى بأن علوه لا يمكن أن يفوق مستوى سطح الأرض للمعسكر.

2- **<u>البرج:</u>**

لقد استغل من خلال هذه العملية التقنية، فرصة ربح مساحة إضافية فوق المهماز ، استغلت لبناء برج في الجهة الشمالية الغربية يطل مباشرة على مختلف الجهات و خاصة الجهة الشمالية التي تعد كما ذكرنا سابقا بمثابة همزة وصل للمهماز الثاني و بالتالي مختلف المرتفعات الموصلة عبره.

بني هذا البرج في أجزائه السفلية بحجارة مصقولة من الحجم الكبير مرتكزة تارة على الجلمود الصخري و السور المذكور تارة أخرى (صورة 10).

فمن خلال بقايا أجزاءه اتضح بأنه ذو شكل مربع و ذو قاعدة غير مستوية المخطط جيدا، ارتفاع جدرانه بني بواسطة حجارة متوسطة و صغيرة الحجم بها أثار عوارض خشبية قد تفسر وجود طابقين بداخله.

كما لا يفوتني ذكر وجود مادة الملاط enduit الذي يشد الحجارة المرصوصة بداخل البرج، متكون من الجير و رمل الوادي بالإضافة الى وجود ملاط حديث متمثل في الاسمنت المختلط برمل الواد ايضا، و الذي من خلاله يمكن القول بأن هذا البرج قد تواصل استغلاله حتى في الحقبة الاستعمارية(صورة 11).

- **الملاط:**

احتوت تركيبة الملاط البيزنطي على مزيج من الجير و الرمل و يضاف إليهما كسر من الآجر أو أحيانا الجص . و كانت المباني البيزنطية تستهلك كميات كبيرة من الملاط و تحبذ استعمال الجير المستخلص من غبار الرخام المحروق و يضاف إليه غبار الآجر أو الحجر و كان الملاط يستخدم بشكل كثيف":وإن كانت طبقة الملاط أقل سمكا من الآجر في عمارة العصر الإمبراطوري الروماني، فالعكس هو الصحيح في العمارة البيزنطية. و النسبة بين سماكة الآجر و الملاط كانت 1/1 في القرن الرابع ميلادي، و وصلت 2/3 في القرن السادس ميلادي. و يمكن تفسير تلك الممارسة بمحاولة الاقتصاد في استخدام الآجر. امتاز الملاط المستخدم في العمارة العسكرية بشمال إفريقيا خلال القرن السادس ميلادي بالتنوع. فمكونات الملاط تتوقف على العناصر التي تدخل في تحضيره و ما يوفره المحيط المباشر من مواد عضوية و التي هي على مقربة من المعلم المراد بناؤه. و يتصف الملاط باللون الأبيض و اللون القشدي، و يتغير لونه حسب المواد المكونة له. و بطبيعة الحال فان تركيبته تختلف باختلاف المناطق، فالمواقع الموجودة على الشريط الساحلي يدخل في تركيبة ملاطها المواد التي توفرها طبيعة المكان، و نفس الملاحظة يمكن إبرازها في المعالم الموجودة في مواقع أخرى من الأوطان كالهضاب العليا أو المناطق الصحراوية.

3- المدخل:

بعدما وضحنا مسألة التحصين الطبيعي للمعسكر المتمثل في حمايته بواسطة الجرف العمودية و بناء سور على مستوى نقطته الضعيفة، هذا المشهد الدفاعي المحكم يطرح قضية الولوج الى أعلى المعسكر الذي اعتقدت في بداية الأمر بأنها كانت (عملية الصعود) تتم عبر استعمال الحبال و السلالم، إلا أن هذه الأساليب قد تستعمل في القلاع التي يراد الاحتماء بداخلها من مخاطر الاضطهاد و القتل، فدور معسكر أوبازا يعاكس هذا الأمر فقد كان بمثابة محطة عملياتية تستوجب حركية فائقة و سرعة في التدخل، مما جعلني أطوف بمحيط المهماز بحثا عن دليل يؤكد اعتقادي، و هذا ما تم عند عثوري في الزاوية الجنوبية الشرقية للمهماز على فجوة طبيعية توصل الى أعلى المعسكر(صورة 12). هيئ على مدخلها باب المعسكر الذي بقي منه ثقب Gond العارضة المحورية التي يدور فيه الباب وهو ذو حجم معتبر اذ يقدر قطره بـ 10 سم(صورة 13)، مازالت عليه أثار الصدى ذات اللون البني المحمر تدل على أنه صنع من الحديد، كما نقشت في نفس المكان عتبة هذا الباب على الجلمود الجيري نفسه ، على شكل دكة ذات زاوية قائمة يسد عليها الباب حين غلقه. عرض هذا المدخل صغير حيث يقدر بحوالي 1 متر و هو مقدار لا يسمح بالحركية إلا لشخص واحد بالمرة حينما يكون مجهز بأسلحته.(صورة 14)

لم يكن اختيار تجهيز المدخل في هذه الزاوية من المهماز صدفة بل أدرجت في الحسبان المسائل الطبوغرافية و الإستراتيجية التي تسهل نزول الجند الى سفح المهماز و بالتالي الى الطريق الروماني عبر المنحدر الوحيد الواقع في الجهة الجنوبية الشرقية المؤدي مباشرة الى مدخل المعسكر، و نفس هذا المنحدر استعملته حين قيامي بالزيارات الميدانية للموقع بحكم صعوبة ان لم نقل استحالة تسلق المنحدرات الأخرى المحيطة بالمعسكر.

4- سطح المعسكر :

من خلال ما لاحظته أثناء معايناتي تمكنت من معرفة تقنيتين لبناء مخلفات الجدران التي تعلو المعسكر و المتمثلة في تقنيات: Opus Africanum و Opus Vitatum .من خلال ما يظهر جليا من جدران.

- **التقنية الافريقية Opus Africanum**: تتمثل هذه التقنية في جدران متكونة من حجارة متوسطة الحجم مرصوصة بين دعامات من الحجارة الضخمة استعملت هذه التقنية في الفترة الرومانية بكثرة لكن في الفترة البيزنطية اقتصرت على بعض المواقع فقط. و قد استعملت خلال هذه الفترة في المستوى الأعلى للأسوار ، و وجدت في كل من توبورسوك و تيفاش . كما نجد استخدام هذه التقنية في أساس المبنى و في بعض الملاحق الداخلية للمباني الدفاعية كالمنشآت المحصنة لمداوروش. اذ لا نجد هذه التقنية في الأسوار الدفاعية لضعف هيكلها الذي لا يليق في العمارة العسكرية. و نفسر وجودها في المستويات العليا للسور الى عمليات الترميم التي أجريت في فترة مختلفة، فكان على البنائين الإسراع في إعادة بناء ما تهدم من الجدار باللجوء الى الحجارة متوسطة الحجم.و ذلك وجدناه تماما بسطح المعسكر بقايا حجارة أساسات المبنى و حجارة صغيرة منتشرة جراء عوامل متنوعة.(صورة 15)
- **تقنية الحجارة منتظمة الزوايا Opus Vitatum**: تتشكل هذه التقنية من حجارة منتظمة الزوايا، تشكل طبقات متجانسة، تعطي انسجاما دقيقا . استعملت خاصة في المباني الموجودة بداخل العمائر العسكرية سواء بسبيطلة في المباني الدينية التي تم تحويلها الى مراكز دفاعية و كذلك في بعض المباني الموجودة في قلعة تيمقاد، و حتى في بعض الأسوار الداخلية لبعض الحصون و لدينا مثال على ذلك في احد أبراج حصن عين زانا. و هذا ما وجناه بالسور الجزئي بالجهة الشمالية الغربية.(صورة 15)

فما عدا البرج الذي يعلو سطح هذا المعسكر و الذي تعرضنا له سابقا ، فما بقي يظهر جليا سوى الأجزاء العلوية للجدران التي تكاد تطغى على ربوع المعسكر مكونة فضاءات و مساحات متباينة قد تكون بمثابة غرف للمبيت و ملاحق لمرافق ضرورية يصعب تمييزها في غياب إجراء حفريات علمية للموقع الذي مازال محتفظا بكل هياكله المعمارية تحت الأرض، نظرا لموقعه الذي يحميه من كل عوامل التعرية و الانجراف و كل عوامل التلف الطبيعية. ما عدا يد الإنسان التي تطاولت عليه بإجراء عدد من الحفر التي بينت مدى بقاء سطح المعسكر قديما على حاله، مغطى بمختلف الطبقات الستراتيغرافية.

التي وضحت أيضا وجود تربة رمادية اللون تطغى على كل أنحاء المعسكر و التي يمكن تفسيرها بوجود كميات معتبرة من الرماد الذي لا يمكن توفيره و تفسيره إلا بمسألة وقوع حريق مهول، قد يكون سببا في هجرة و التخلي عن خدمات هذا المعسكر في الفترات القديمة لأسباب نجهلها في الوقت الراهن و التي اعتقد أن يكون سببها البيزنطيون في حد ذاتهم بحكم استحالة عمليات السطو على هذا المعسكر المحمي طبيعيا بكيفية خارقة للعادة، إلا في حالة واحدة و هي محاصرة الجند لأشهر طويلة إن لم نقل أعوام قصد تجويعهم و النيل من معنوياتهم و هذا أمر مستبعد في ظل الإمدادات و التعزيزات الأمنية التي تجهز و تنظم من طرف البيزنطيين من مختلف الحصون و القلاع المنتشرة بالمنطقة على غرار القلعة البيزنطية بتيفاست.

دعمت جدران الخزان بعوارض حجرية مبنية بشكل يشد جوانب الخزان البارزة فوق سطح الأرض، فهي موزعة على طول الضلع الجنوبي بكيفية متساوية، اثنتان على كل زاوية و اثنتان في وسط الجدار ، تبعد كل واحدة عن الأخرى بمسافة 2,80 م و يقدر عرض كل واحدة حوالي 0,95 م (صورة 16)، أما على الأضلاع الصغيرة البارزة فوق سطح الأرض من الجهات الجنوبية الشرقية و الشمالية الغربية فتحتوي على دعامة واحدة من كل جهة، قد تتوسط الخزان(صورة 17). الحائط محاط بثلاثة أحواض مقببة و متينة كما أنها مبنية بالآجر و الاسمنت.

أما جدران الخزان من الداخل فهي مطابقة للمقاييس التقني المعمول بها للمحافظة على عدم تسرب الماء عبر الجدار الذي قد يهدد هيكله، و لهذا وضعت طبقة من الملاط الجيري المختلط بكمية من الرمل و عدد من أجزاء الآجر المهشم (Mortier en tuileux) لتغطية جدران الخزان من الداخل و هذا ما تظهره الصورة التي اغتنمت فرصة وجود ثقب بطريقة غير شرعية من طرف مخربي الآثار .(صورة 18)

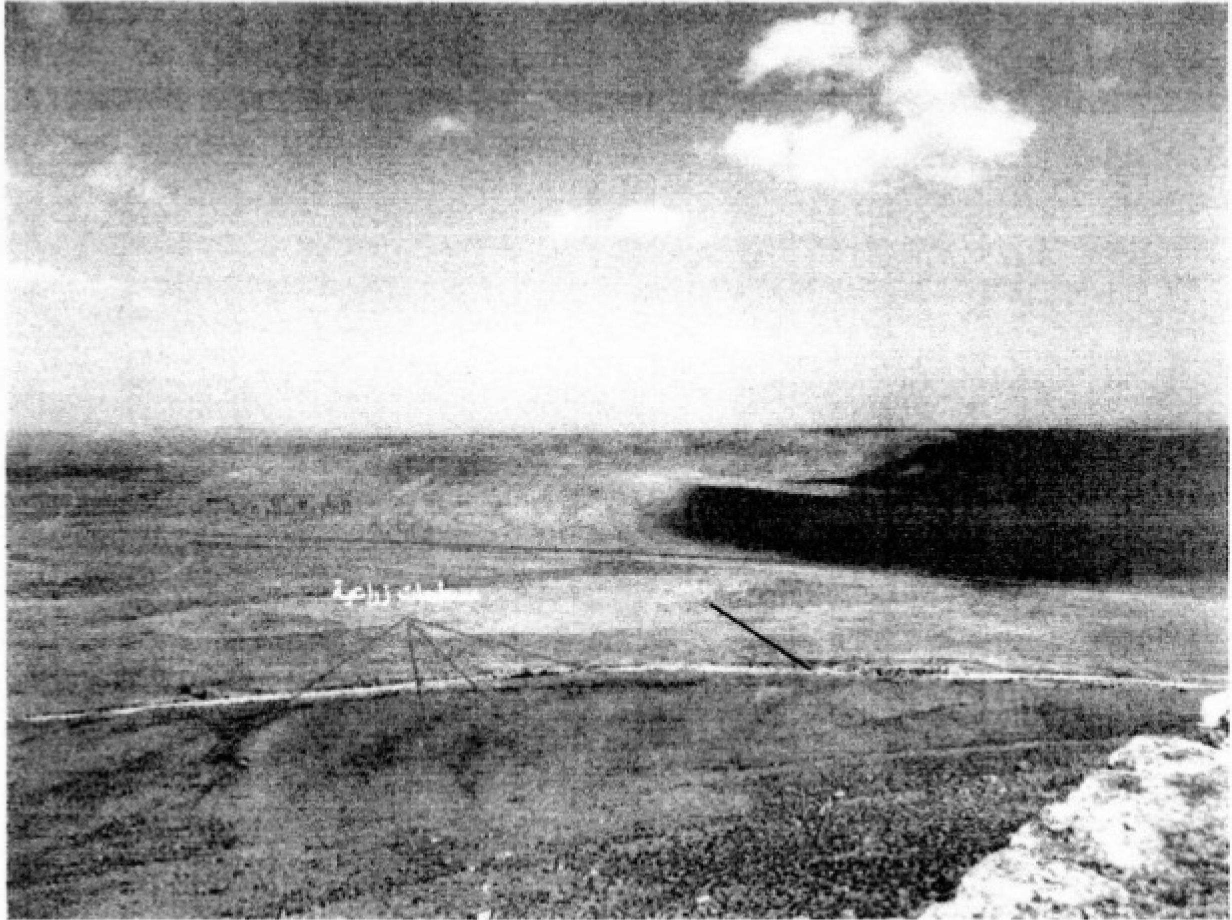
6- الاسطبلات **Les ecuries:**

يعد الدور اللوجستي أمرا هاما فيما يخص بالحركية و الإمداد لمثل هذا النوع من المعالم المدرج ضمن النظام الدفاعي الذي يستوجب بالضرورة امتطاء خيول للتدخل في حالة نشوب أو وقوع حوادث ما تستدعي التحرك . فلهذا الأمر تساءلت عن إشكالية هذه المسالة الشائكة و المتمثلة في استحالة صعود الخيول الى سطح المهماز و بالتالي استحالة وجود إسطبل بداخل المعسكر بالقرب من جرف المهماز الذي اعتقد بانه كان في محيط المدخل و هو المكان الذي يمكن وصول الخيل إليه عبر المنحدر الوحيد المؤدي للمهماز و المذكور سابقا.(صورة 19)

فنظرا لطبوغرافية و تضاريس الموقع فلا يمكن بتاتا ايصال الخيول الى داخل المعسكر و ما ينطبق على الحفاظ بهذه الوسيلة (الخيول) خارج المعسكر، في مأمن تعكسه لنا وضعية الخزان المائي الموجود خارج المعسكر.

7- المسطحات الزراعية:

لقد لاحظت خلال معاناتي الميدانية وجود مسطحات زراعية ضيقة على المنحدرات التي يطل عليها معسكر أوبازا في المناطق المجاورة، فهذه الثقافة مستبعدة لدى سكان هذه الرقعة في الوقت الراهن ، و لهذا أرى بأنها منجزة من طرف الجند المرابض بهذا المعسكر لأغراض زراعية لإنتاج الحبوب و لما زرع الزيتون للاكتفاء الذاتي.(صورة 20)

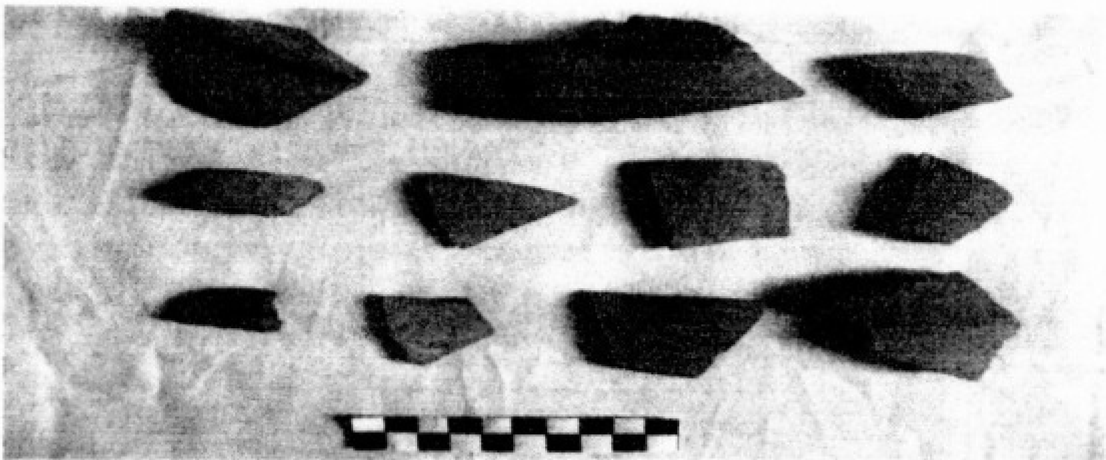


ثالثا: تأريخات المعسكر

بناء على ما ورد من إيضاحات بشأن الاستيطان البشري في منطقة "أوبازا" و نظرا للخصائص الدفاعية الطبيعية و الإستراتيجية لهذا الموقع فإنه ليس مستبعدا بأن تكون قد استعمل في صيغته الطبيعية كملجأ تحتمي به القبائل و العشائر التي بنيت معالمها الجنائزية الواسعة الانتشار بالمكان خلال الفترة المعروفة بفجر التاريخ و هذا خلال نشوب نزاعات و حروب فيما بين القبائل ، فهذا النوع من الهيئات الدفاعية المعروفة بالمهاميز، و التي نجدها متواجدة في محيط المدافن الميغاليثية و شبه الميغاليثية بمختلف المناطق من تراب شمال إفريقيا عموما و القطر التونسي خصوصا، كانت عموما متزامنة مع المقابر التي ترجع الى هاته الفترة.

و رغم عدم وضوح المعطيات (البقايا) الرومانية في ubaza، فهذا لا يستبعد استغلال هذا الموقع من طرف الرومان كمعسكر أو برج لمراقبة حركة المواصلات، كونه يشرف و يطل مباشرة على مدى رؤية شاسعة تحيط بالطريق الروماني الرابط بين تبسة و نقرين، هذه الأخيرة تأسست ما بين 104-105 م و بالتالي يكون الطريق الروماني المذكور و مختلف ملاحقه الدفاعية و الحيوية مؤرخة مع هذه الفترة .

و قد دعمت فكرتي هذه على الشواهد اللامعمارية المتمثلة في عدد الشقف الفخارية المتناثرة فوق موقع ubaza و التي ترجع الى الفترة الرومانية.(صورة 21)



أما الاستغلال الواضح لمعسكر ubaza فهو يعود الى الفترة البيزنطية بناءا على ما ورد من أحداث بالمنطقة، و اخص في هذا النطاق الثورات المورية ضد البيزنطيين الذي كللته ثورة خلال 539 م بقيادة ايوداس laudas التي مست بدون شك إقليم النمامشة أين قام جوستينيان بطرد القبائل المورية من الاوراس كما ذكرناها سابقا.

الخاتمة

الخـــــاتمة

تقودنا هذه الدراسة الى استخلاص العديد من النتائج والحقائق التي هي ثمرة الجهد المولى لهذا المركز الدفاعي، والكسب المحصل منه، إذ ينبغي بأن نسجل أن إقامة أي مركز دفاعي في منطقة جبلية كهذه لم يكن صدفة، و إنما اختير استجابة للحاجات المحلية أولا، والحاجات غير المحلية التي تجعله محور استقطاب ثانيا، من هنا نجد أن معسكر "VBAZA" خضع لهذه القاعدة العامة في اختيار الموقع والتي تناسب غاية الزمن المعيشي فلقد كان ولفترة طويلة ممرا أساسيا للقوافل التجارية و مركز مراقبة للتحركات المختلفة.

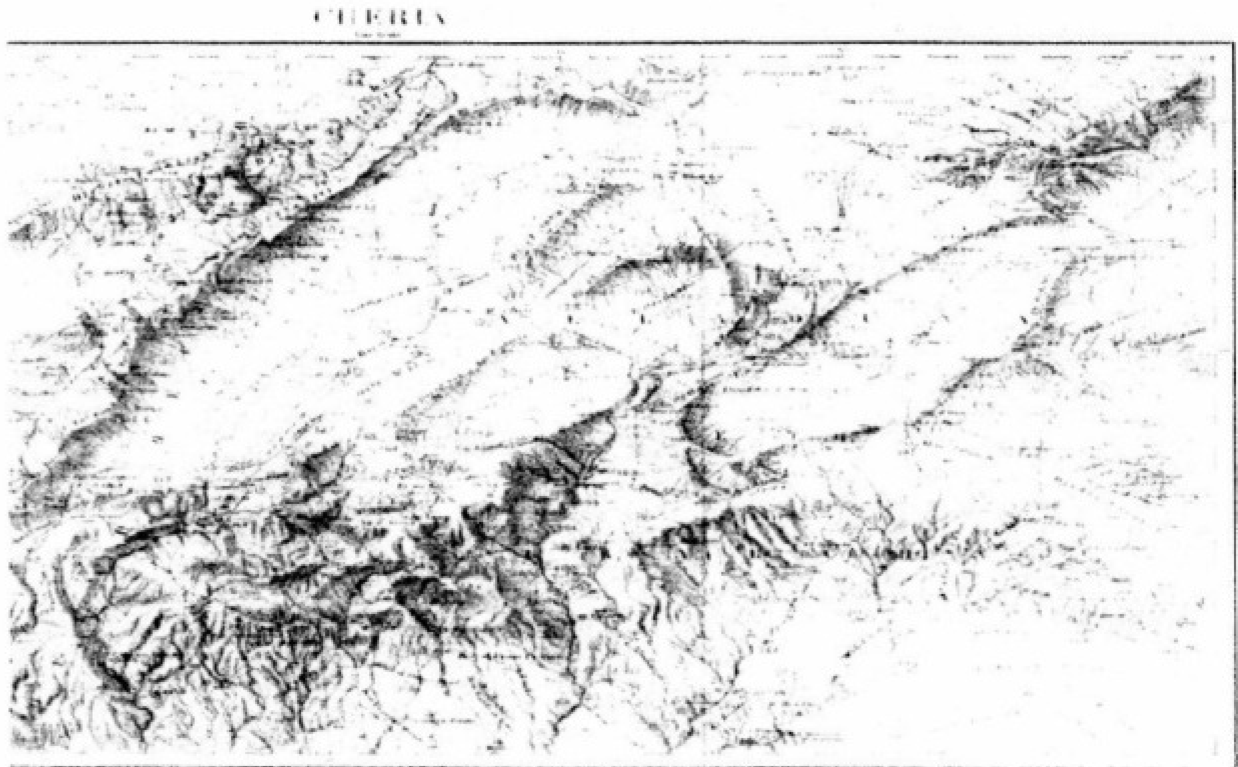
شيد هذا المركز الدفاعي ضمن منطقة جغرافية مرتفعة محاط بسلسلة من الجبال الوعرة المسالك، ومحاذ لواد احتضن خصره شمالا وغربا و جنوبا، وبذلك تمكن أهل المنطقة من توفير جميع مستلزمات الحياة من ماء وكلأ ومواد بناء طبيعية، ومناخ ينسجم مع حاجاتهم، وموقع يسمح لهم بالبقاء طويلا يشكل حصنا يدرأ عنهم كل خطر داهم.

ولابد من الإشارة إلى أن معسكر VBAZA ينتمي في جل مواصفاته إلى العمارة الدفاعية من حيث توزيع الأبراج، وتوفره على سور طبيعي لم يشهد له مثيل في مبان مماثلة له، و ما لفت انتباهنا وجود خزان مائي يحفظ لهم ما يكفيهم في حالة جفاف الواد المحاذي له.

و من هذا المنطلق اقترح بتصنيف الموقع ضمن قائمة التراث الثقافي، لتوفره على الشروط التي نصت في قانون 98-04 الخاص بتصنيف المواقع الأثرية و المنشور في الجريدة الرسمية الجزائرية. و أن يحظى بعناية من طرف المختصين في مجال ترميم و صيانة المواقع الأثرية حتى يتسنى لنا معرفة الهيئة الكاملة للمعلم الأثري.

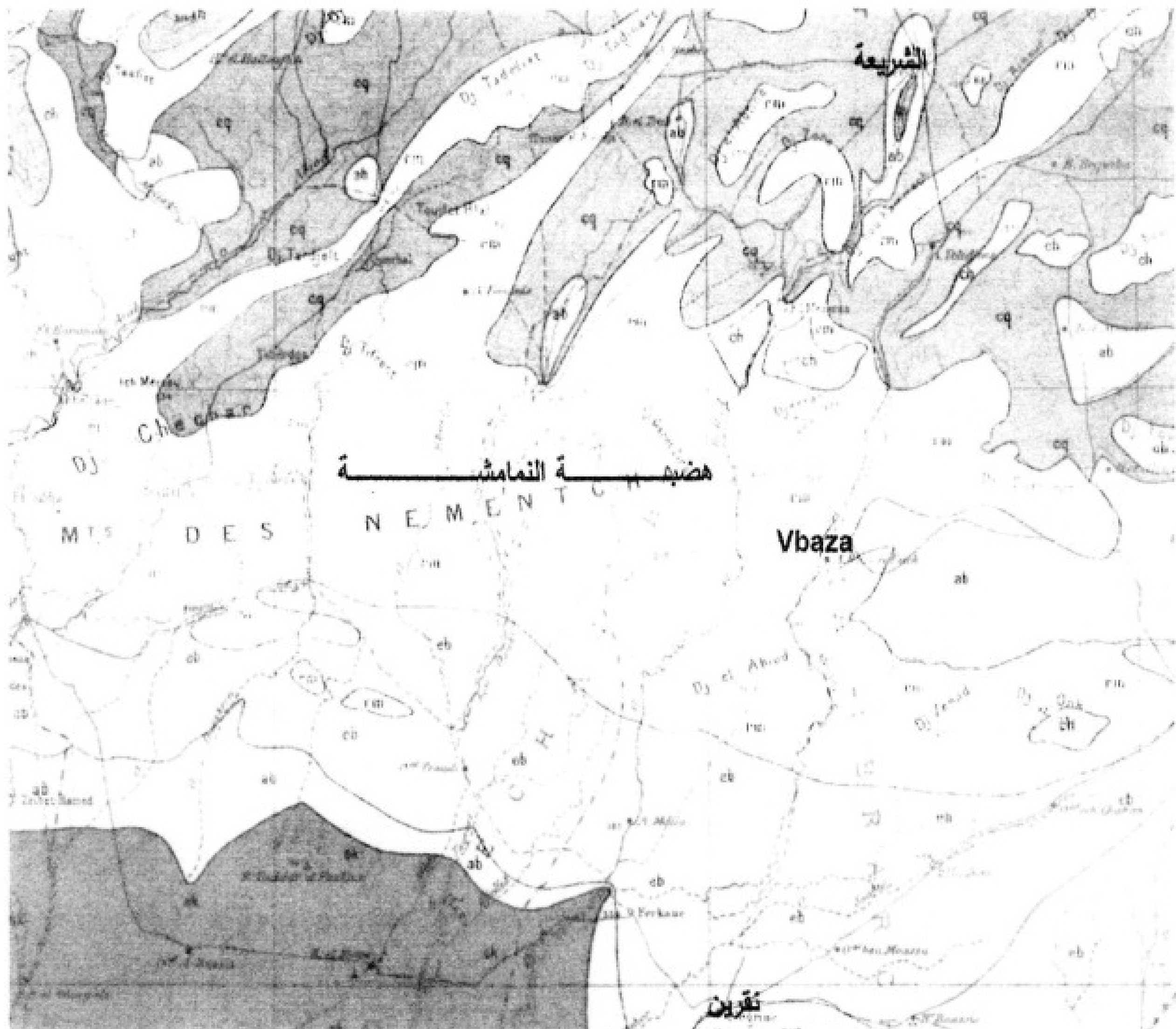
الملاحق

ملحق الخرائط



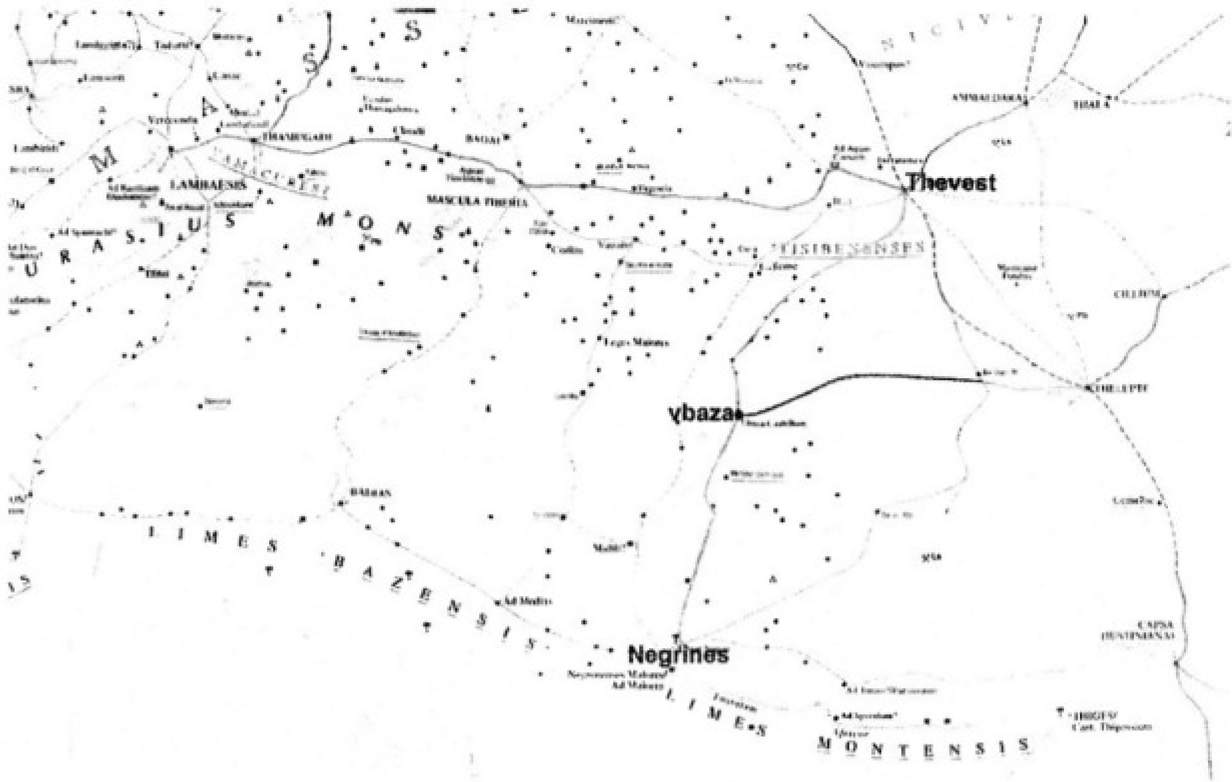
الخريطة 01: خريطة الشريعة

Gsell(s) ,A.A.A ,feuille de Chéria n= 39,art.164 ,p.6. Tome 2 , Alger , 1997. :عن



الخريطة 02: موقع اوبازا في هضبة النمامشة

بتصرف الطالبة



الخريطة 03: تفرع الطرق من تيفاست

بتصرف الطالبة

خريطة 04: تمركز الإمارات المورية بشمال إفريقيا

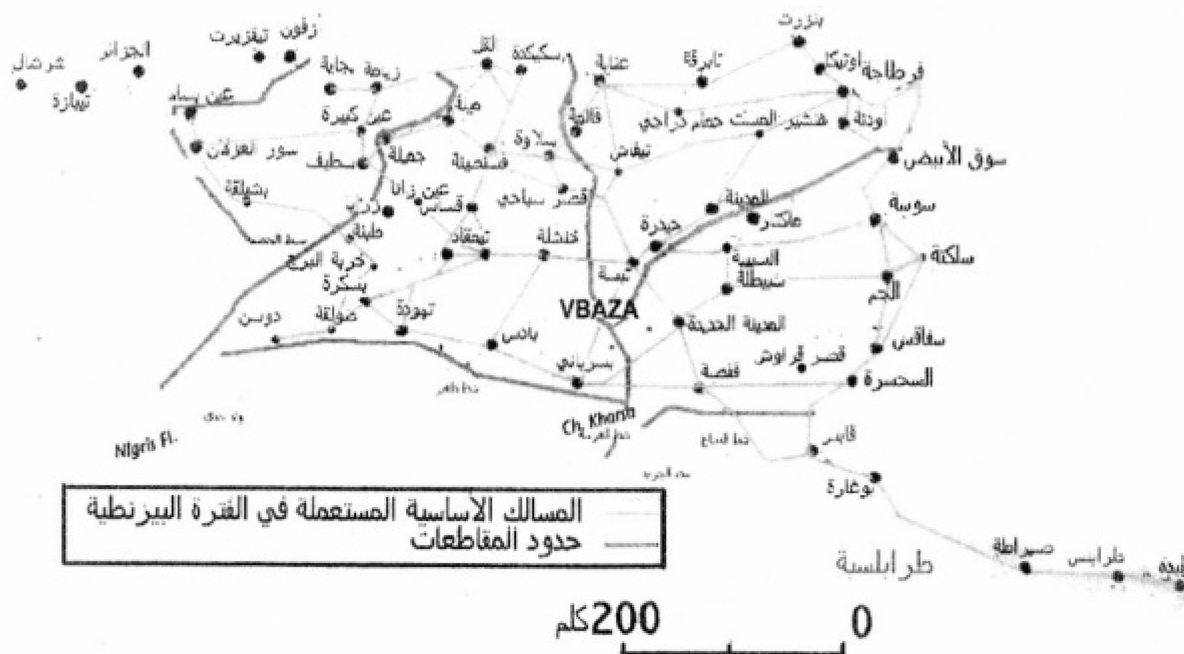
عن: سليم دريسي، البيزنطيون في شمال افريقيا: الاحتلال و العمارة الدفاعية، ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة ، جامعة الجزائر ، معهد الاثار ، 2007-2008



خريطة5: توزيع المنشآت الدفاعية بالمقاطعات البيزنطية في شمال إفريقيا.

عن: سليم دريسي، البيزنطيون في شمال افريقيا: الاحتلال و العمارة الدفاعية، ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة ، جامعة الجزائر ، معهد الاثار ، 2007-2008

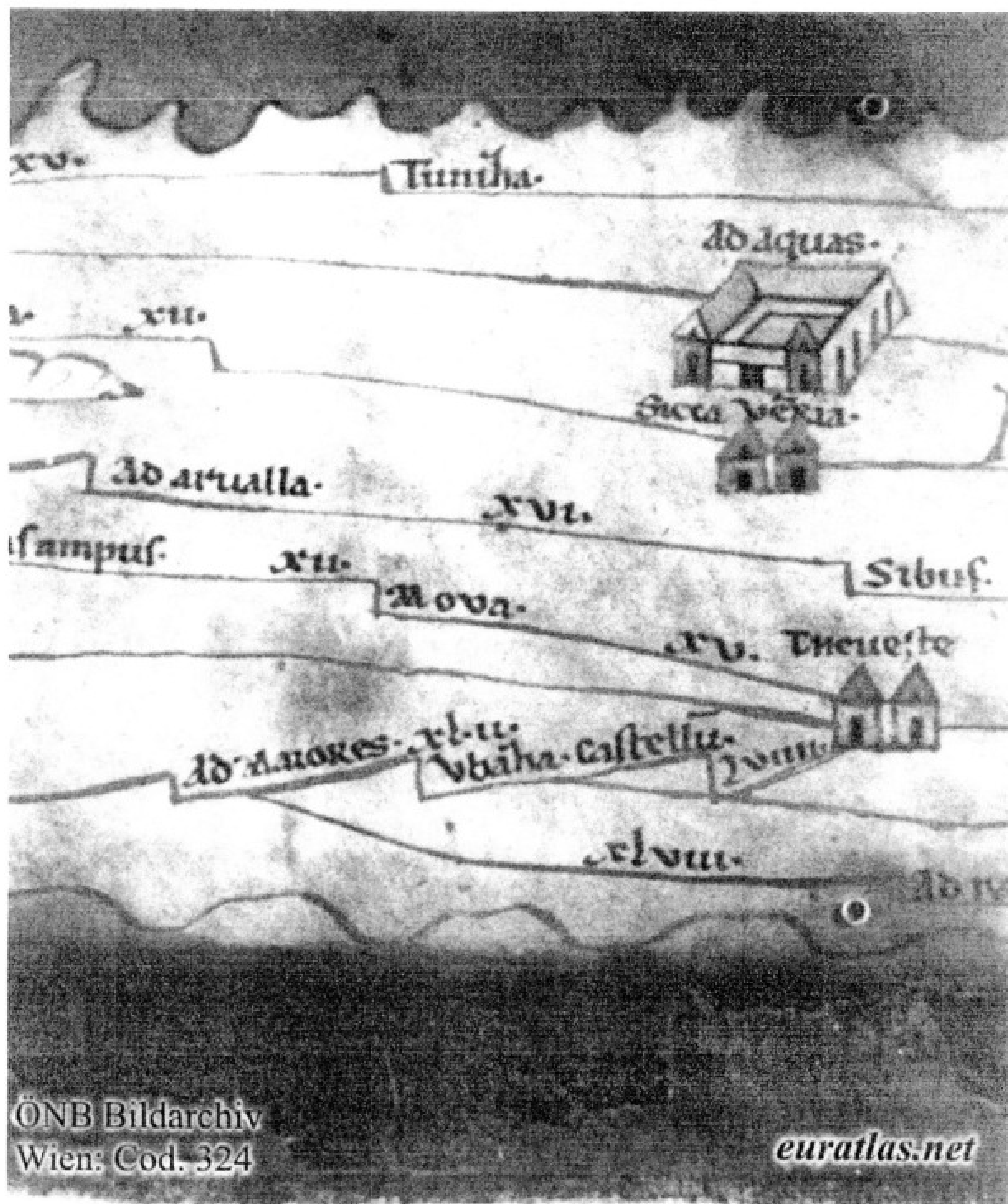
بتصرف الطالبة



خريطة 6: المسالك الأساسية البيزنطية بشمال إفريقيا

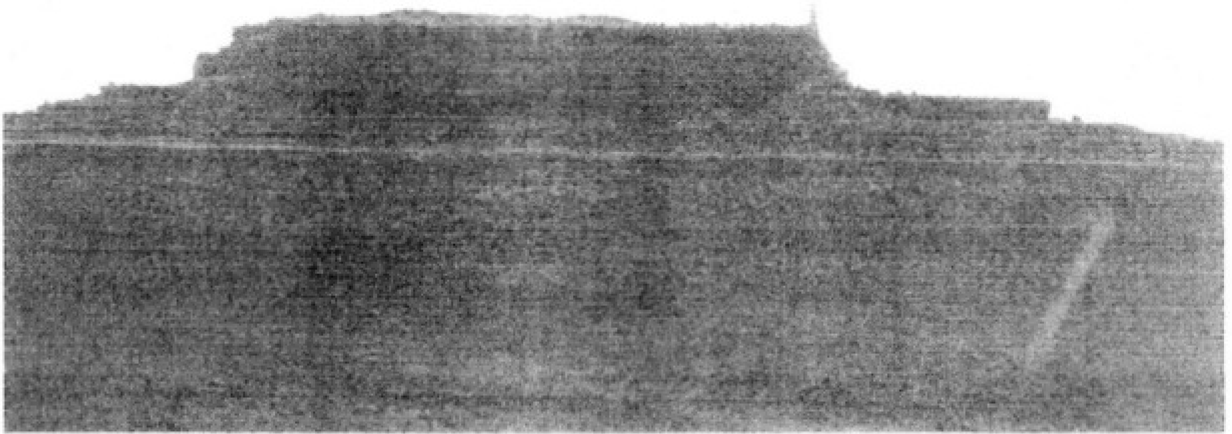
عن: سليم دريسي، البيزنطيون في شمال افريقيا: الاحتلال و العمارة الدفاعية، ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة ، جامعة الجزائر ، معهد الاثار ، 2007-2008

بتصرف الطالبة



الخريطة 07: موقع معسكر اوبازا حسب الباحث بوتنجر Peutinger

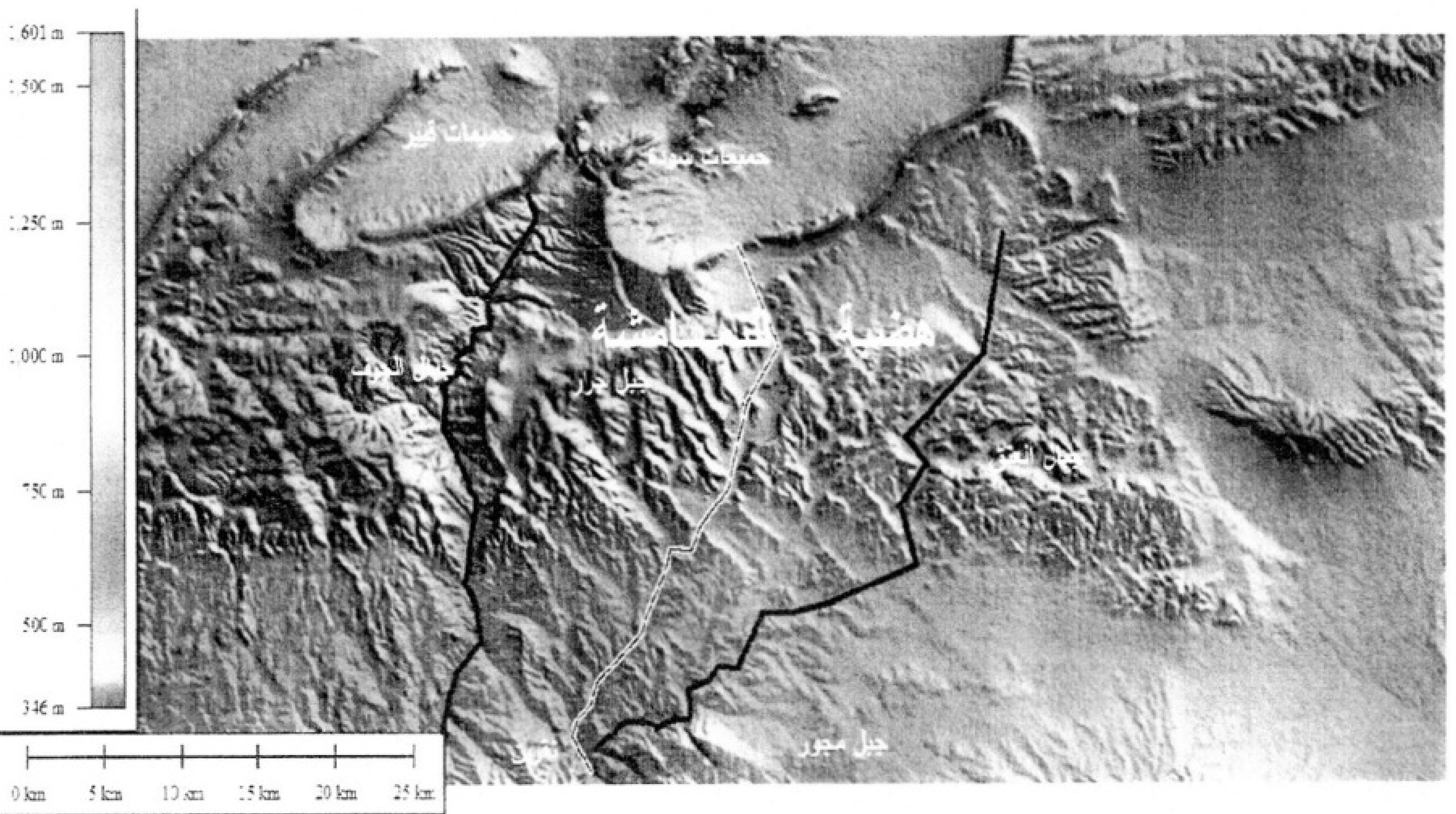
ملحق الصور



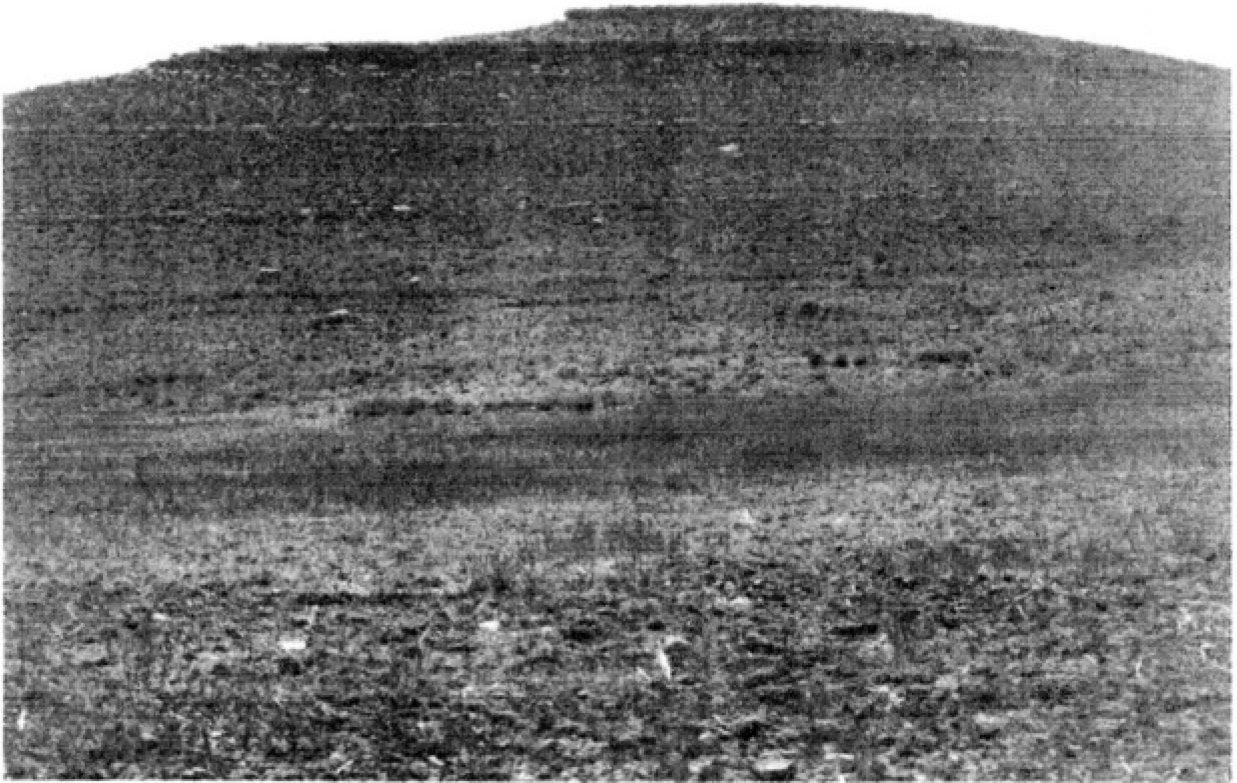
صورة 01: موقع اوبازا على جبل الترابزة



الصورة رقم 2: مجال الرؤية من المهمازين



صورة 03: الممر الطبيعي تيفاست– نقرين وسط سلسلة النمامشة



صورة 04: الغطاء النباتي بالمنطقة



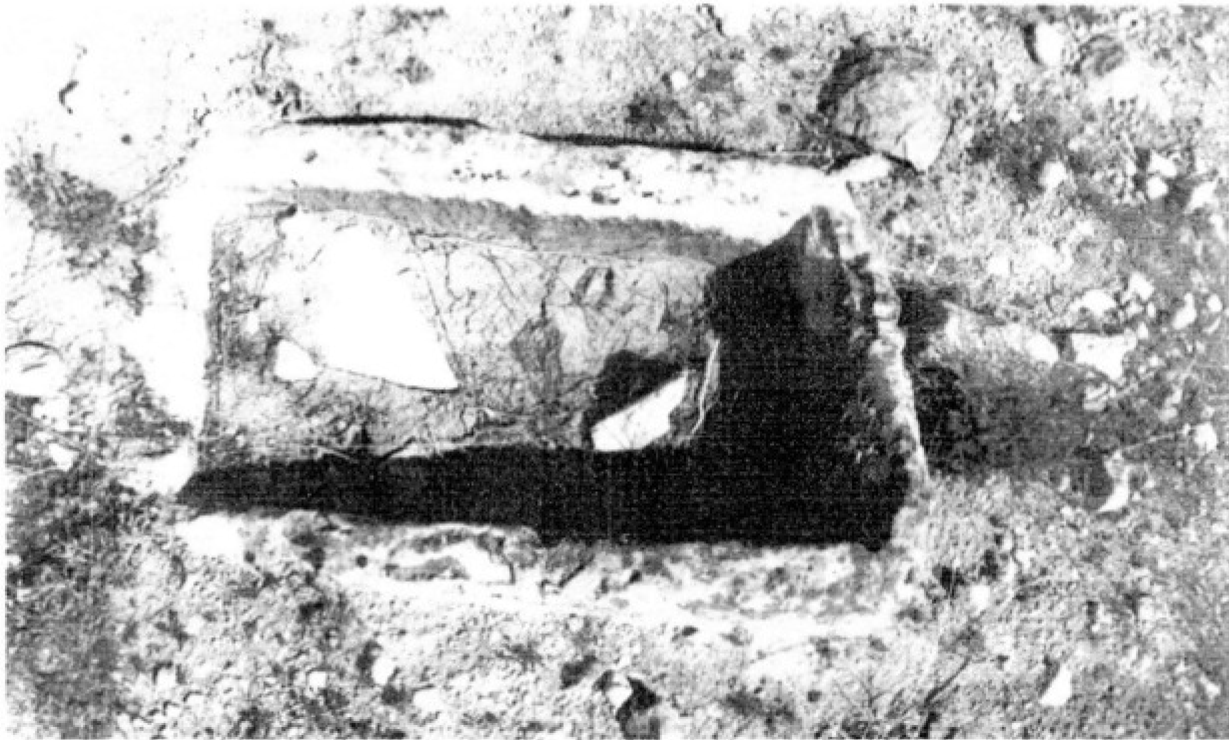
الصورة 05: معلم يعود الى الفترة البيزنطية



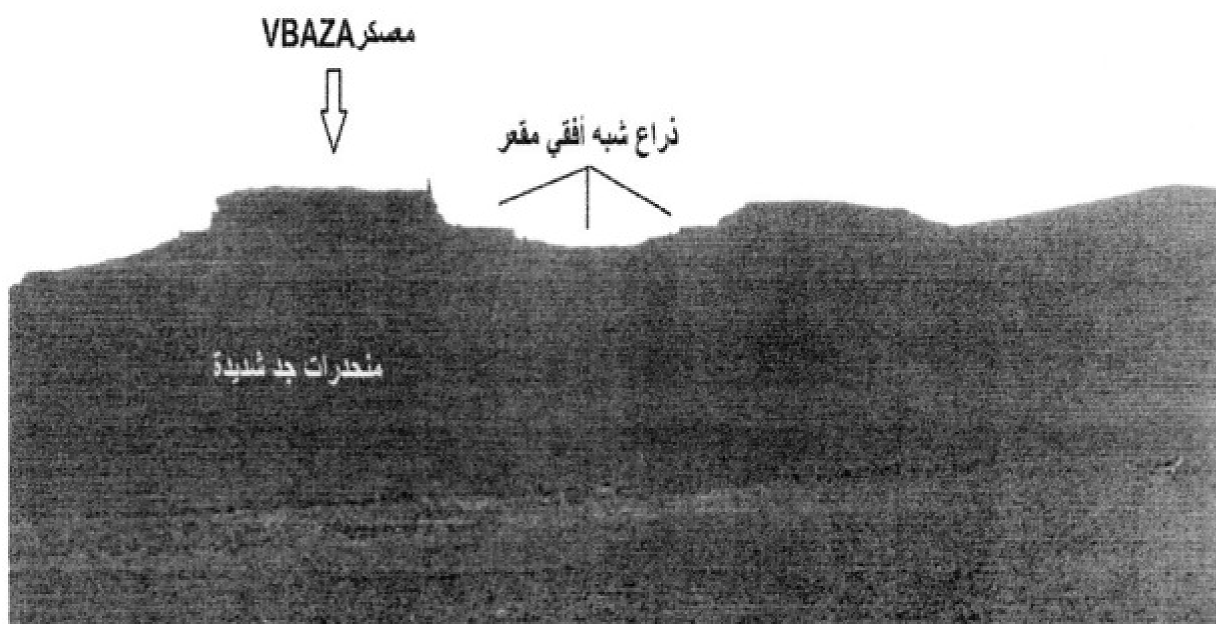
الصورة 06: انصاب منتشرة حول المعلم



الصورة 07: هنشير كركم



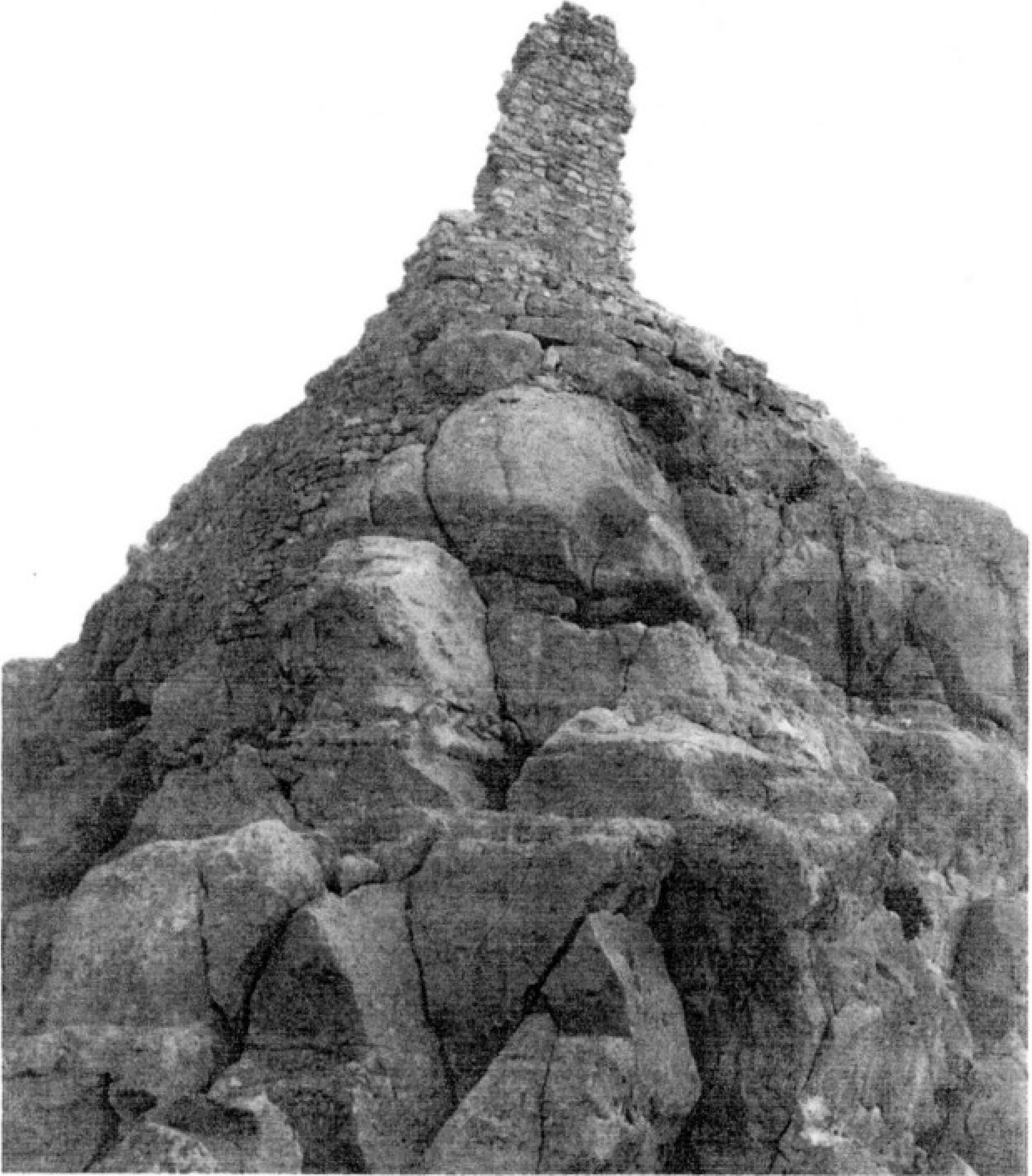
صورة من الاحواض المنتشرة بالمنطقة



الصورة 08: نقطة بناء السور



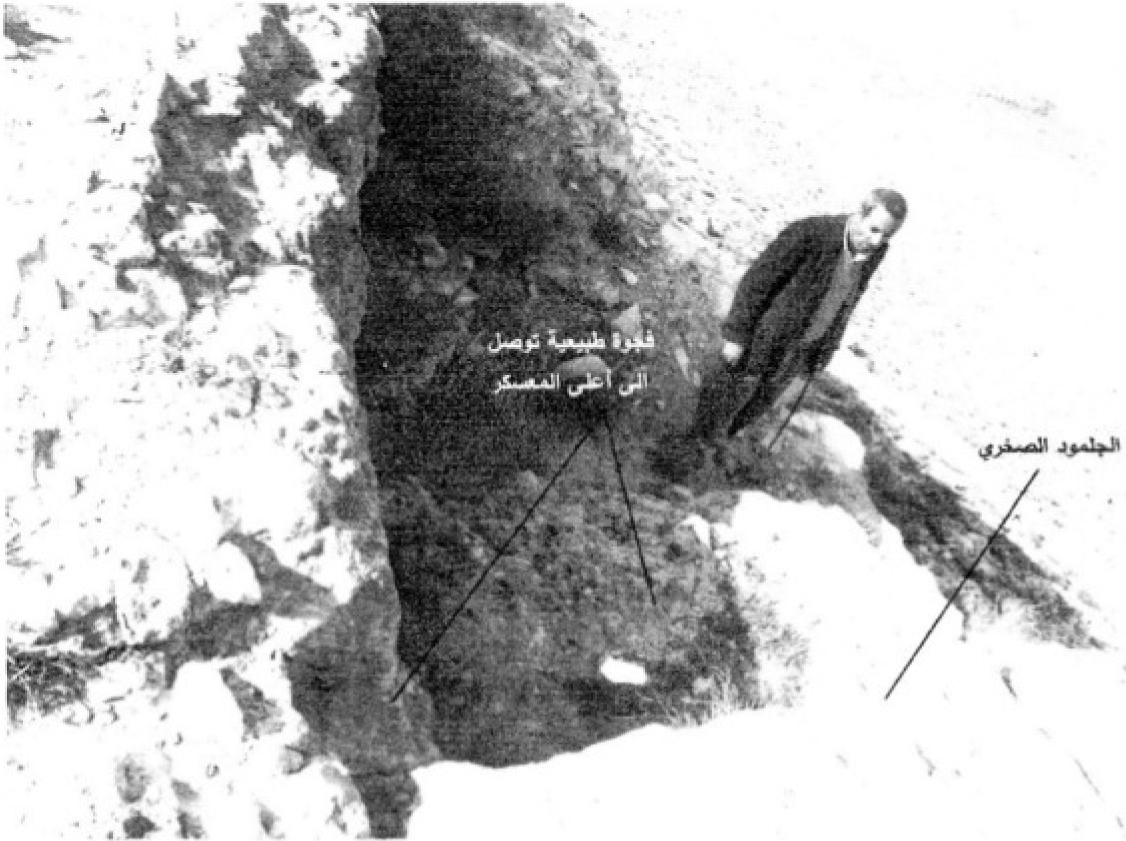
الصورة 09: استعمال الحجارة الصغيرة في بناء السور



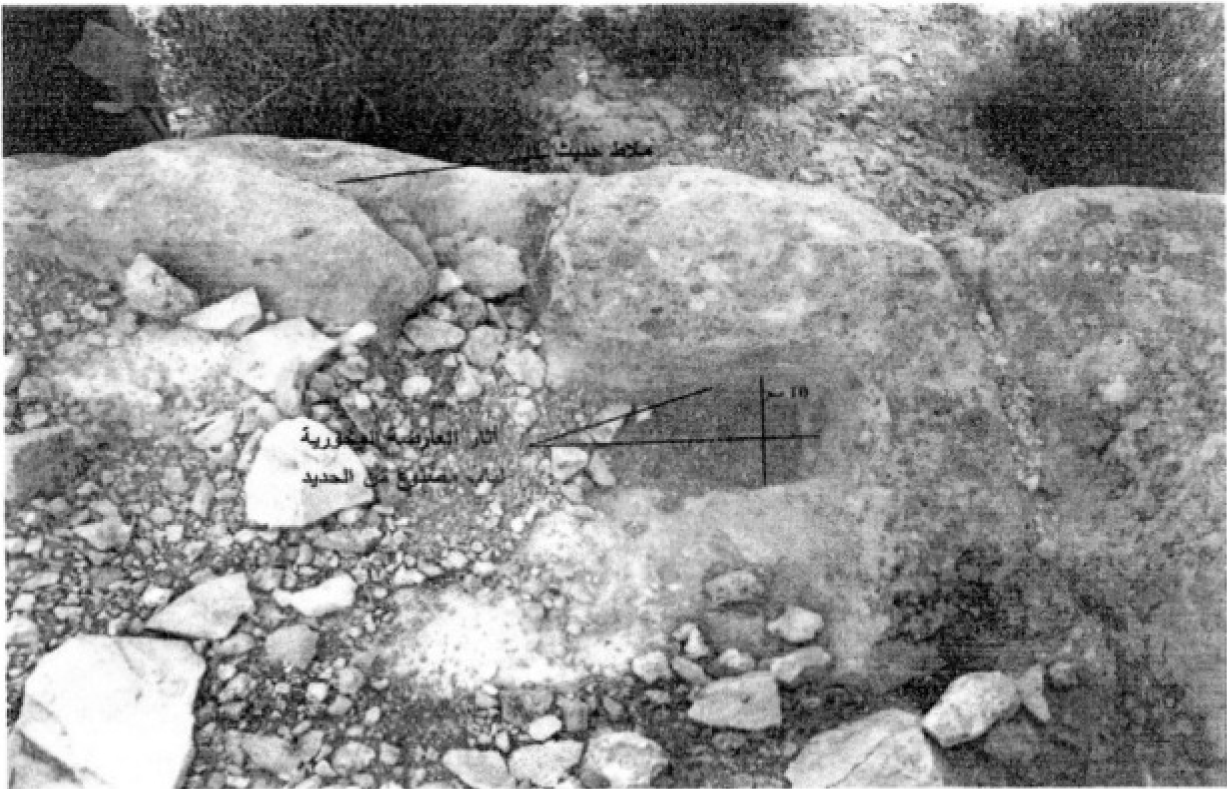
الصورة 10: الواجهة الامامية للبرج



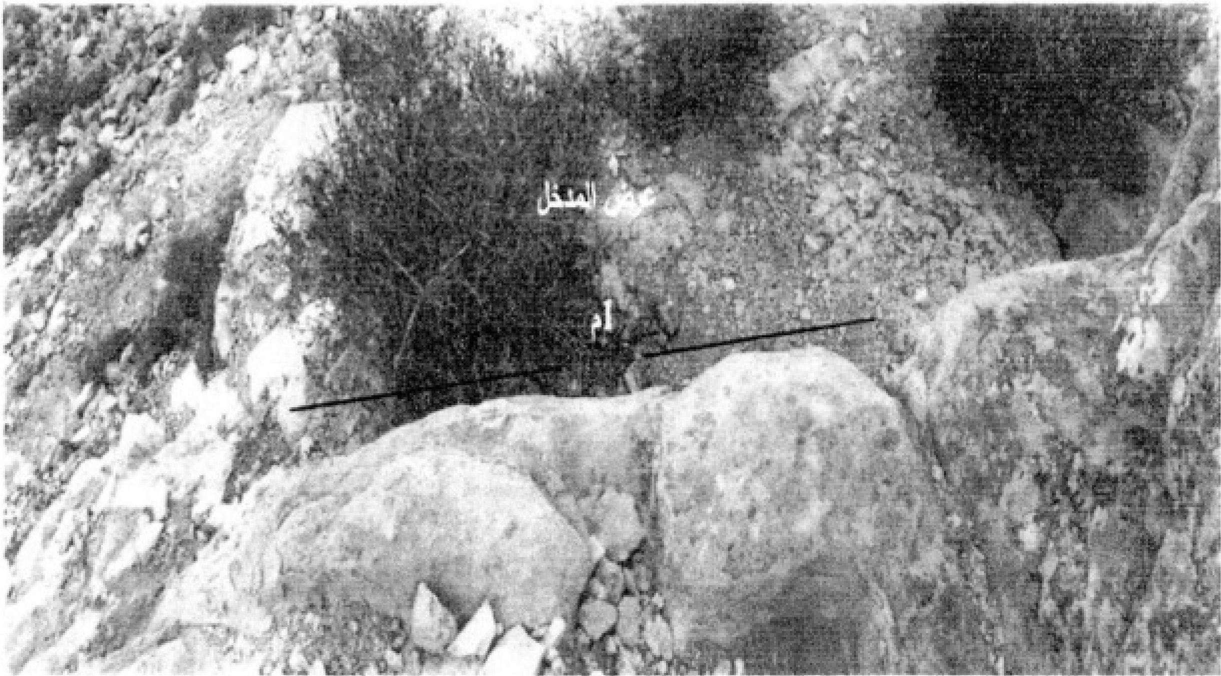
الصورة 11: مادة الملاط المستعملة في ربط الحجارة



الصورة 12: فجوة طبيعية توصل الى اعلى المعسكر



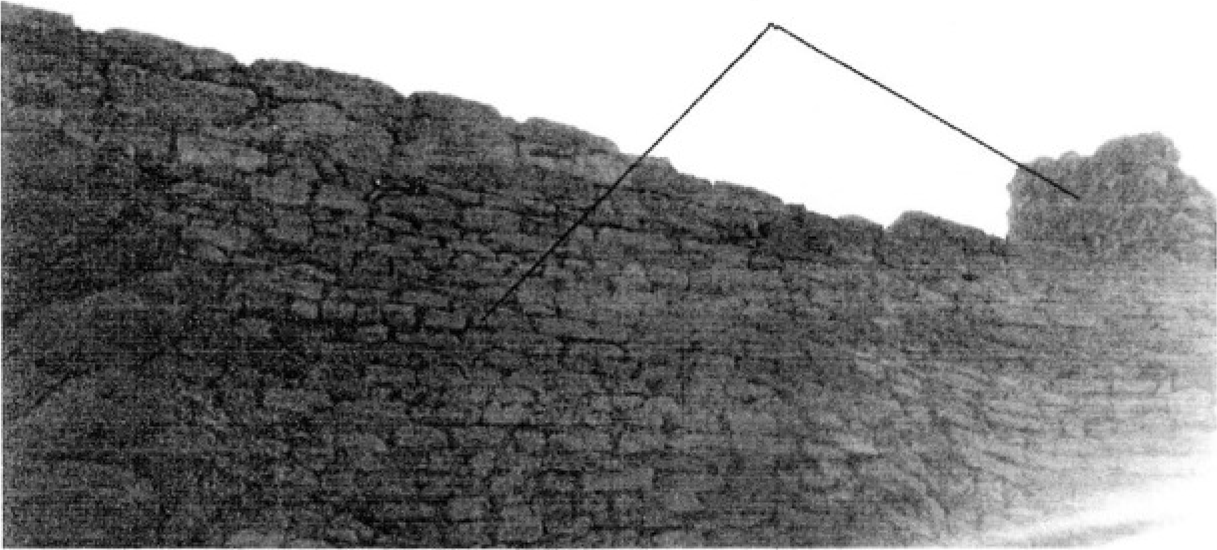
الصورة 13: اثار العارضة المحورية للباب



الصورة 14: مدخل الباب

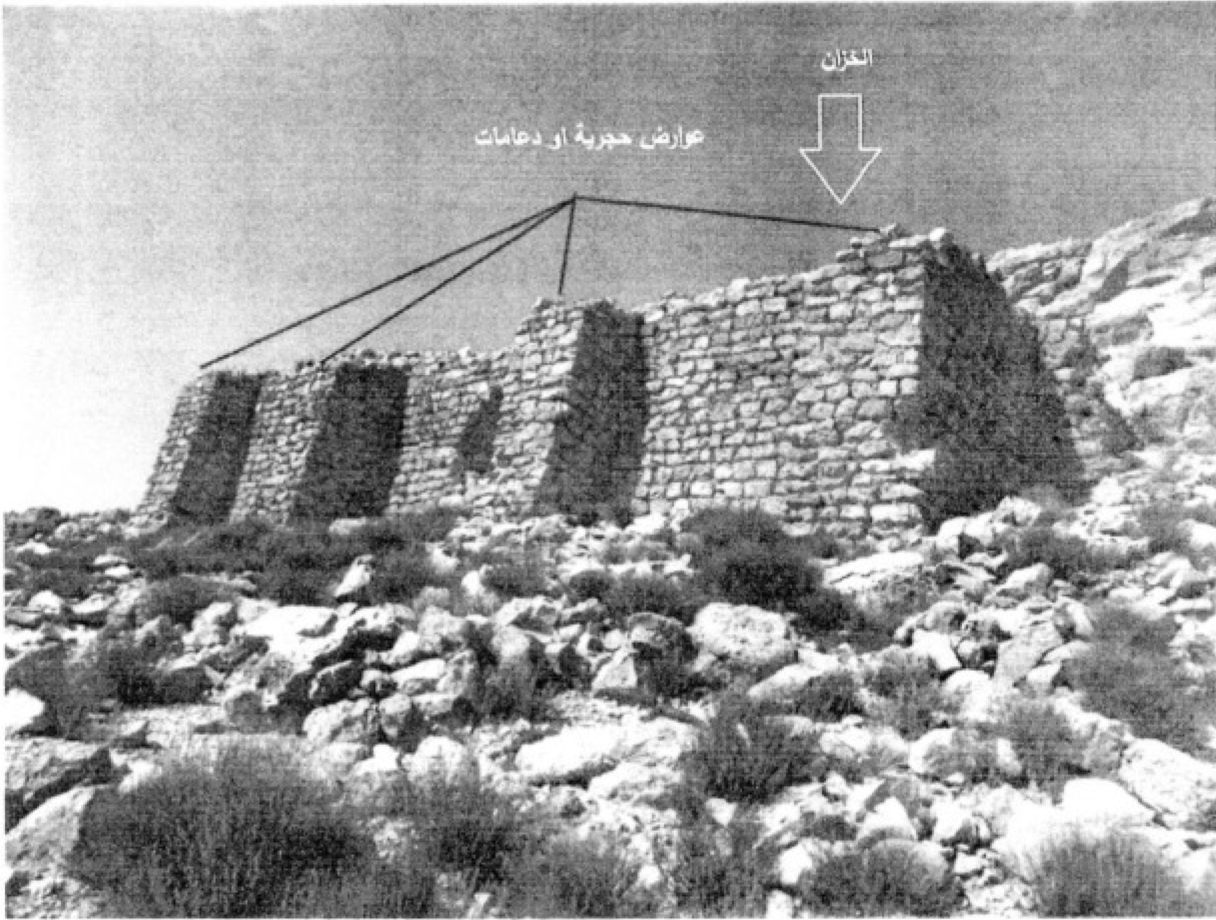
تقنية الحجارة منتظمة الزوايا

opus vitatum





الصورة 15: تقنيات البناء المستخدمة



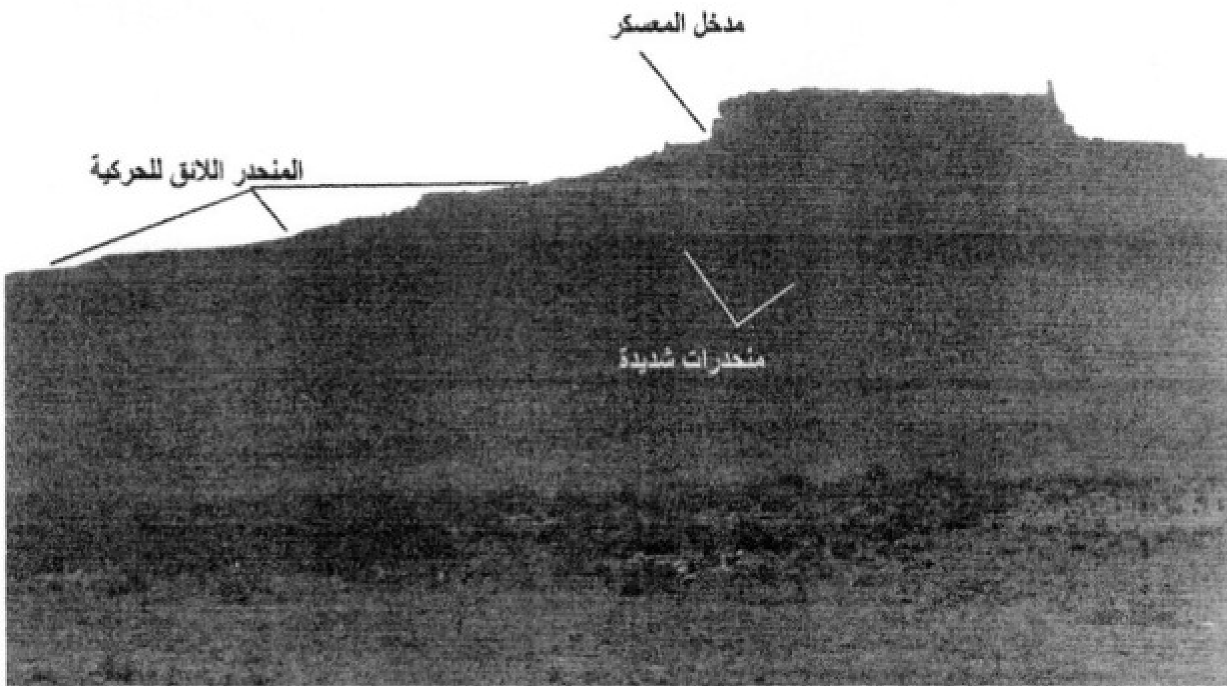
الصورة 16: صورة الخزان



الصورة 17: دعامة جانبية تشد الخزان



الصورة 18: ثقب غير شرعية تبين الجدار الداخلي للخزان



الصورة 19: المنحدر اللائق المؤدي للمهماز

ملحق الأشكال

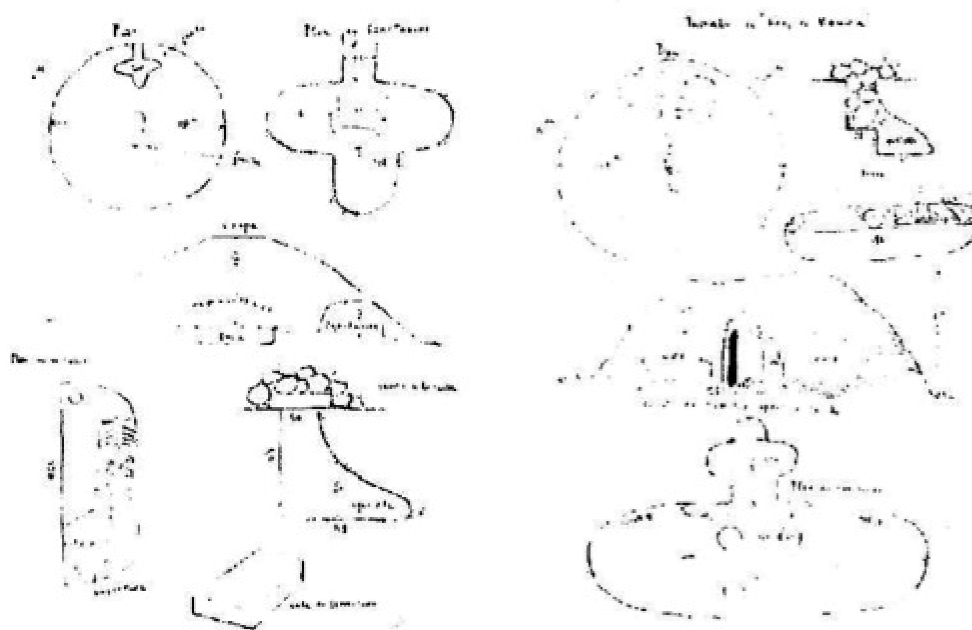
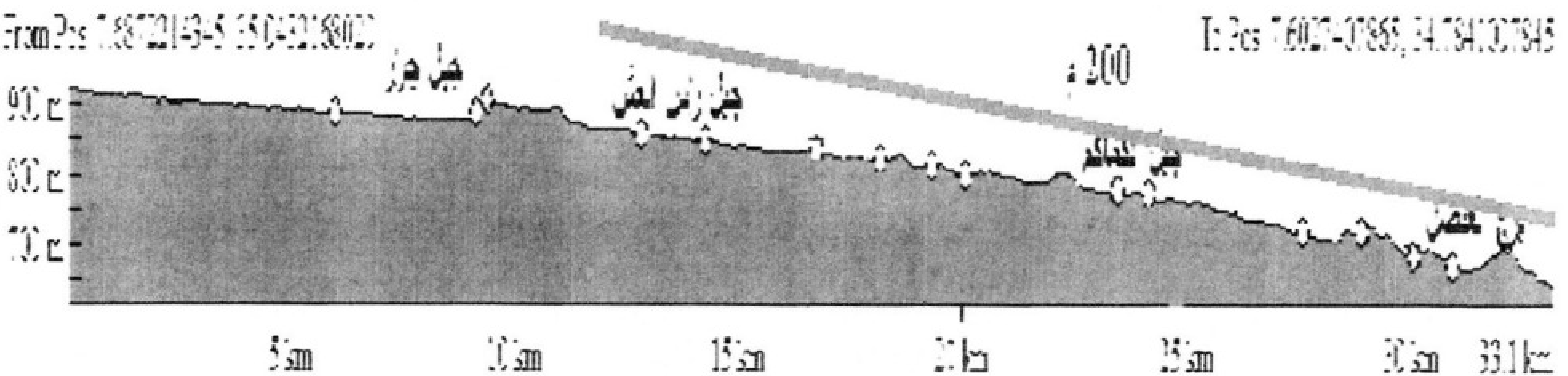
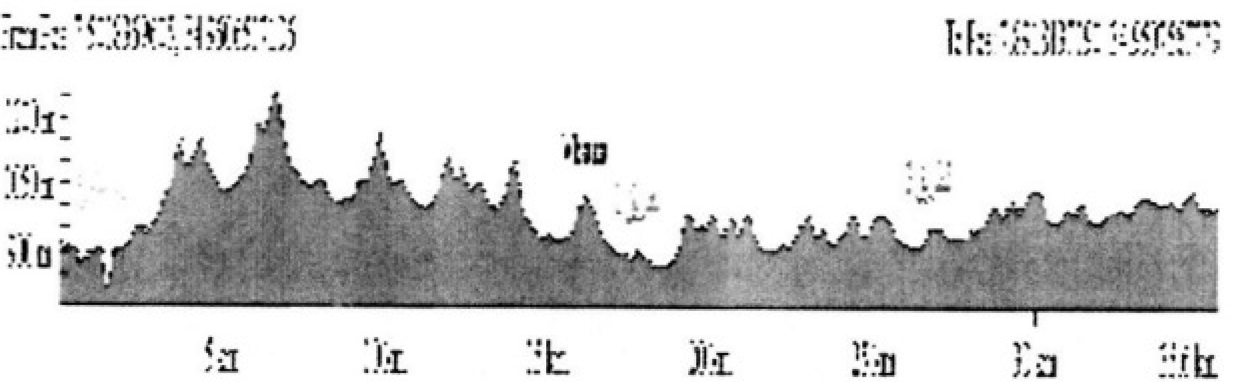


Fig. 3 : *Tumuli* de Negrine (à gauche) et de Fedj el-Koucha (au centre), avec l'inscription (d'après [illegible] E., *Tumuli*, 1937, pl. IV et p. 181 ; pl. V et p. 188)

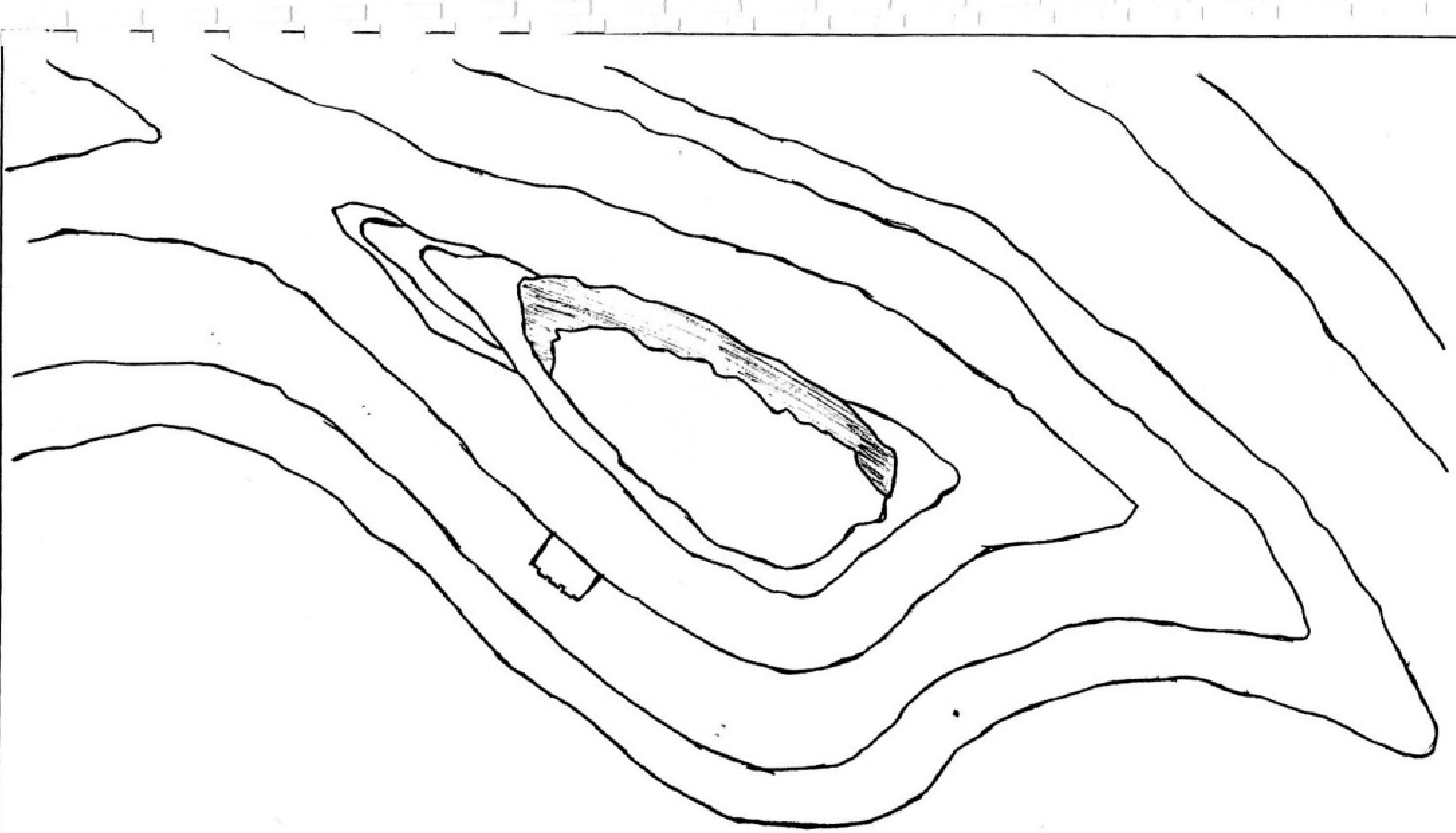
الشكل 02: المدافن ذات المقصورات



الشكل 03: مقطع طبوغرافي شمال- جنوب من هضبة النمامشة الى نقرين



الشكل 03: مقطع غرب– شرق لهضبة النمامشة يوضح الممرات الطبيعية



شكل 05 : مخطط طوبوغرافي لموقع أوبازا

من انجاز الطالبة

فهرس الخرائط

فهرس الصور

فهرس الأشكال

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع باللغة العربية:

- د. العربي عقون، حوز تبسة، الجزائر ، 2010.
- جوليان(ش.أ)، تاريخ إفريقيا الشمالية .تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس،1985 .
- دبور (ص.ع)، تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الأول، القاهرة،1974 .
- دريسي سليم، البيزنطيون في شمال افريقيا: الاحتلال و العمارة الدفاعية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة، جامعة الجزائر ، معهد الاثار ، 2007-2008.
- عيبش. ي، المور والبيزنطيون خلال القرن 6 م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ .السنة الجامعية 1996،1995، جامعة قسنطينة.
- شنيتي (م.ب)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر ، 1984.
- شنيتي (م.ب)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث عن منظوعة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) و مقاومة المور ، الجزء الأول و الثاني، الجزائر ،1999 .

- المراجع باللغة الاجنبية:

- Albertini (E.)., Marçais (G,), Yven (G,), Prigent (E,), l'Afrique du Nord française dans l'histoire, Paris-Lyon, 1955
- Albertini (E), "Ostrakon byzantin de Négrine (Numidie), R.Afr, 1932.
- Baradez (J), Fossatum Africa. Recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine,Paris, 1949.
- Bosredon, Promenade archéologique dans les environs de Tébéssa(1),paris,1878.
- Bourgeois (Cl.), « Les vandales, le vandalisme et l'Afrique ». Ant. Afr, t. 16, 1980,
- Cagnat(R.), l'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1913.
- Camps G., Aux origines de la Berberie. Monuments et rites funéraires protohistoriques de l'Afrique du nord, Paris 1961
- Courcelle (P.), Histoire littéraire des grandes invasions germaniques, Paris, 1948.
- Courtois (Ch.), Les vandales et l'Afrique, Paris, 1955
- Courtois (Ch.), « De Rome à l'Islam » R.Afr, 1942.
- Desanges(J.), « un témoignage peu connu de Procope sur la numidie vandale et byzantine »Nouvelle lecture et commentaire de Procope de De Aedificis, VI, 7-1-11 », Byzantion,33,1963
- Diehl (Ch.), L'Afrique Byzantine. Histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709), Paris, 1896.
- Diehl (Ch.), « Rapport sur deux missions dans l'Afrique du Nord (avril-juin 1892 et marsmai 1893) », Nouv Arch des miss, 4, 1893.
- Diehl (Ch.), Histoire de l'empire byzantine, Paris, 1934.

- Duval (N), « L'Afrique dans l'empire byzantin : anciennes et nouvelles perspectives »,Tunisie : Du christianisme à l'islam IV-XIV siècle, Lattes, 2002
- Gautier (E.F.), Genséric, roi des Vandales, Paris, 1932.
- Gourdin (H.), Genséric, Soleil barbare, Tunis, Paris, 1999.
- Gsell (Steph.), Atals Archéologique de l'Algérie, deuxième édition, Alger, 1996.
- Lancel (S.), Evêchés et cites dans les provinces africaines, (III-V siècle), Rome, 1990.
- la porte(J_p) ,Antiquité Africaine : L'Afrique du Nord de la protohistoire à la conquête arabe,Tap-CNRS EDITION 2011 .Paris, 1949.
- Laporte(J.P.), « les vandales, l'Afrique et les Maures »,B. A. C, Suppl,3, 2005.
- le bohec , la recherche récente sur l'armée romaine d'afrique (1977-1989) , in: antiquités afriquaine 27,1991.
- Lebohec(Y), « L'armée et l'organisation de l'espace urbain dans l'Afrique romaine de haut empire », Africa.romana, 1992
- Monceaux (P), « Deux victimes des Maures à Madaure »,C.R.A.I, 1920.
- Pringle (D.), The defence of Byzantine Africa from Justinian to the Arab conquest. The account of the african provinces in the sixth and seventh centuries, Part I -II, B.A.R, Oxford,1981.
- Salama(p) ,quelques incursion dant la zone occidentale du limes de numidie,1991.
- Salama (P.), Les Voies romaines de l'Afrique du Nord, Alger, 1951.
- Trousset (P.), "Les limites Sud de la réoccupation byzantine", An. Tard, 10, 2002.

- Trousset (P.), « Les fines antiques et la reconquête byzantine en Afrique », B.C.T.H.S, nouvelle série, 19B,1985.
- Tissot (Ch.), Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, t. I, Paris, 1887.
- Toulotte (Monseigneur.), Géographie de l'Afrique Chrétienne. t. IV, Proconsulaire. Paris,1892
- Chastagnol, (A.), « Les gouverneurs de Byzacène et de Tripolitaine », Ant Afr, t.1, 1967.

الفهـرس العام

الفصل الأول

الموقع الجغرافي و المؤهلات البيئية لحيز أوبازا

الفصل الثاني

الأوضاع العامة المساهمة في انجاز المراكز الدفاعية

الفصل الثالث

الدراسة الوصفية التحليلية

الفهارس

قائمة المصادر و المراجع